(وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ)

(قرآن كريم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين على أمور الدنيا والدين، وصلى الله على سيدنا محمد المبعوث إلى الثقلين، وإلى كافة الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه أهل اليقين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(**وبعد**) فيقول العبد الفقير الراجي عفو ربه الجليل، خليل بن الشيخ شريف بن الشيخ محيي الدين العلي، لقد اخترت أن أجمع قصصا قرآنيا تحدث عن رجال الصالحين والصالحات غير الأنبياء للتنبيه والتذكير، وعبرة لأصحاب العقول السليم، وليستفيد نموذج الرجال الصالح للشباب والشيوخ المسليمن عامة، وخاصة لطلبة العلم، وعظة واستفادة للحكمة الصادرة عنها، فإذا كان الأمر كذلك فعلينا أن نتبع إثرهم، واقتدينا نهجهم، ونخشى الله تعالى في السر والعلن، لكي ننال مرضات الله سبحانه وتعالى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أيهم أفضل."

ومن القصص التي سأذكرها من القرآن مثل قصة مريم بنت عمران، وقصة عزير، وقصة أم موسى عليه السلام، وقصة " وعلى الثلاثة الذين خلفوا"، وخبر إمرأة العزيز، وقصة أصحاب

الكهف،وخبر ذي القرنين، وقصة حديث الإفك، وقصة آصف بن برخيا، وقصة بلقيس ملكة سبا، وقصة لقمان، وقصة أصحاب القرية، وقصة مؤمن آل فرعون، وخبر المجادلة، وخبر إمرأة فرعون، وخبر سورة عبس، وقصة أصحاب الأخدود،

ونرتبها على ترتيب السور القراني ونذكر بعدها ما وردها من الآثار مثل قصة صهيب الرومي، ونعمان بن مقرن المزني إن شاء الله تعالى.

وبعد هذا الجمع سميته " **الصالحين والصالحات في القرآن** " ونسأل الله تعالى أن يجعل عملنا عملا خالصا لوجهه الكريم، وأن يوفقنا بما يحبه ويرضاه، ويحسن ختامنا بالايمان والإسلام، بجاه سيدنا محمد خير الأنام، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

ورتبته على مقدمة وبابين وخاتمة .

كتبه :الفقير إلى رحمة ربه الجليل

خليل بن الشيخ شريف

بن الشيخ محيي الدين العليّ

الباب الأول :

الصالحين

١) قصة عزير عليه السلام	سورة البقرة
٢) قصة وعلى الثلاثة الذين حلفوا	سورة التوبة.
٣) قصة أصحاب الكهف	سورة الكهف
٤) خبر ذي القرنين	سورة الكهف
٥) خبر آصف بن برخيا	سورة النمل
٦) قصة لقمان	سورة لقمان
٧) قصة أصحاب القرية	سورة يسن
٨) قصة مؤمن آل فرعون	سورة غافر
٩) قصة أصحاب الأخدود	سورة البروج
١٠) خبر عبس	سورة عبس
١١) صهيب الرومي	من الآثار
١٢) النعمان بن مقرن المزني	من الآثار

قصة عزير عليه السلام

المشهور أن عزيراً من أنبياء بني إسرائيل وأنه كان فيما بين داود وسليمان وبين زكريا ويحيى، وأنه لما لم يبقى في بني إسرائيل من يحفظ التوراة ألهمه الله حفظها فسردها على بني إسرائيل

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىَ يُحْيِي هَـَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

ذكر الطبرانى و السيوطى و ابن كثير أن هذه الآية المقصود بها عزير و فى تفسيرها أن عزيرا كان عبدا صالحا حكيما، خرج ذات يوم إلى ضيعة له يتعاهدها، فلما انصرف انتهى إلى خربة حين قامت الظهيرة أصابه الحر، فدخل الخربة وهو على حمار له، فنزل عن حماره ومعه سلة فيها تين وسلة فيها عنب، فنزل في ظل تلك الخربة، وأخرج قصعة معه، فاعتصر من العنب الذي كان معه في القصعة، ثم أخرج خبزا يابسا معه فألقاه في تلك القصعة في العصير ليبتل ليأكله، ثم استلقى على قفاه وأسند رجليه إلى

الحائط، فنظر سقف تلك البيوت ورأى منها ما فيها وهي قائمة على عرشها وقد باد أهلها، ورأى عظاما بالية فقال} :أنى يحيي هذه الله بعد موتها. {!فلم يشك أن الله يحييها ولكن قالها تعجبا .فبعث الله ملك الموت فقبض روحه، فأماته الله مائة عام، فلما أتت عليه مائة عام وكان فيما بين ذلك في بني إسرائيل أمور وأحداث، فبعث الله إلى عزير ملكا فخلق قلبه ليعقل به، وعينيه لينظر بهما فيعقل كيف يحيي الله الموتى، ثم ركب خلقه وهو ينظر، ثم كسا عظامه اللحم والشعر والجلد، ثم نفخ فيه الروح كل ذلك يرى ويعقل، فاستوى جالسا فقال له الملك :كم لبثت؟ قال :لبثت يوما وذلك أنه كان نام في صدر النهار عند الظهيرة، وبعث في آخر النهار والشمس لم تغب .فقال :أو بعض يوم، ولم يتم لي يوم .فقال له الملك :بل لبثت مائة عام، فانظر إلى طعامك وشرابك، يعني الطعام الخبز اليابس، وشرابه العصير الذي كان اعتصر في القصعة، فإذا هما على حالهما لم يتغير العصير والخبز اليابس، فذلك قوله} لم يتسنه {يعني لم يتغير، وكذلك التين والعنب غض لم يتغير عن حاله، فكأنه أنكر في قلبه .

فقال له الملك :أنكرت ما قلت لك انظر إلى حمارك .فنظر فإذا حماره قد بليت عظامه وصارت نخرة، فنادى الملك عظام الحمار

فأجابت وأقبلت من كل ناحية حتى ركبه الملك وعزير ينظر إليه، ثم ألبسها العروق والعصب، ثم كساها اللحم، ثم أنبت عليهاالجلد والشعر، ثم نفخ فيه الملك، فقام الحمار رافعا رأسه وأذنيه إلى السماء ناهقا، فذلك قوله} وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما {يعني انظر إلى عظام حمارك كيف يركب بعضها بعضا في أوصالها، حتى إذا صارت عظاما مصورا حمارا بلا لحم، ثم انظر كيف نكسوها لحما} فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير {من احياء الموتى وغيره .

قال فركب حماره حتى أتى محلته فأنكره الناس، وأنكر الناس، وأنكر منازله، فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله، فإذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة كانت أمة لهم، فخرج عنهم عزير وهي بنت عشرين سنة كانت عرفته وعقلته فقال لها عزير :يا هذه أهذا منزل عزير؟ قالت :نعم، وبكت وقالت :ما رأيت أحدا من كذا وكذا سنة يذكر عزيرا وقد نسيه الناس .قال :فإني أنا عزير .قالت :سبحان الله !فإن عزيرا قد فقدناه منذ مائة سنة فلم نسمع له بذكر .قال :فإني أنا عزير، كان الله أماتني مائة سنة ثم بعثني .قالت :فإن عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة، يدعو للمريض ولصاحب البلاء بالعافية

والشفاء فادع الله أن يرد علي بصري حتى أراك، فإن كنت عزيرا عرفتك .فدعا ربه ومسح يده على عينيهما؟؟ فصحتا، وأخذ بيدها فقال :قومي بإذن الله، فأطلق الله رجلها فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال، فنظرت فقالت :أشهد أنك عزير .

[وَقَالَتْ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ] و جاء عزير الى بنى اسرائيل فقالت بنو إسرائيل :فإنه لم يكن فينا أحد حفظ التوراة وقد حرق بختنصر التوراة ولم يبق منها شيء إلا ما حفظت الرجال فاكتبها لنا .فكتب عزير لبني إسرائيل التوراة من حفظه، فقال بني إسرائيل : لم يستطع موسى أن يأتينا بالتوراة إلا في كتاب وأن عزيراً قد جاءنا بها من غير كتاب .فقالت طوائف منهم عزير ابن الله .و الله اعلم.

قصة وعلى الثلاثة الذين خلفوا .... الأية

وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم) يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)

قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن أخي الزهري محمد بن عبد الله ، عن عمه محمد بن مسلم الزهري ، أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عبد الله بن كعب بن مالك - وكان قائد كعب من بنيه حين عمي – قال :سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فقال كعب بن مالك : لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة غيرها قط إلا في غزوة تبوك ، غير أني كنت تخلفت في غزاة بدر ، ولم يعاتب أحد تخلف عنها ، وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين توافقنا على الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها وأشهر ، وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى

ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة ، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزاة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يريد غزوة يغزوها إلا ورى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد ، واستقبل سفرا بعيدا ومفازا ، واستقبل عدوا كثيرا فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم ، فأخبرهم وجهه] ص [٢٣٠ : الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ، لا يجمعهم كتاب حافظ - يريد الديوان - فقال كعب : فقل رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي من الله ، عز وجل ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزاة حين طابت الثمار والظل ، وأنا إليها أصعر . فتجهز إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه ، وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض من جهازي شيئا ، فأقول لنفسي : أنا قادر على ذلك إذا أردت ، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى شمر بالناس الجد ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازي شيئا ، وقلت : الجهاز بعد يوم أو يومين ثم ألحقه فغدوت بعدما فصلوا لأتجهز ، فرجعت ولم أقض شيئا من جهازي . ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا ، فلم يزل] ذلك [يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو ، فهممت

أن أرتحل فأدركهم – وليت أني فعلت – ثم لم يقدر ذلك لي ، فطفقت إذا خرجت في الناس بعد] خروج [رسول الله صلى الله عليه وسلم] فطفت فيهم [يحزنني ألا أرى إلا رجلا مغموصا عليه في النفاق ، أو رجلا ممن عذره الله ، عز وجل ، ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس في القوم بتبوك " : ما فعل كعب بن مالك ؟ " قال رجل من بني سلمة : حبسه يا رسول الله برداه ، والنظر في عطفيه فقال له معاذ بن جبل : بئسما قلت ! والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا !فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال كعب بن مالك : فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرني بثي فطفقت أتذكر الكذب ، وأقول : بماذا أخرج من سخطه غدا ؟ أستعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي . فلما قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما ، زاح عني الباطل وعرفت أني لم أنج منه بشيء أبدا . فأجمعت صدقه ، وصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس . فلما فعل ذلك جاءه المتخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له – وكانوا بضعة وثمانين رجلا – فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم ويستغفر لهم ، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى ، حتى جئت ، فلما

سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ، ثم قال لي " : تعال " ، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه ، فقال لي " : ما خلفك ، ألم تك قد اشتريت ظهرك " ؟ قال : فقلت : يا رسول الله ، إني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن أخرج من سخطه بعذر ، لقد أعطيت جدلا ولكنه والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ، ليوشكن الله يسخطك علي ، ولئن حدثتك بصدق تجد علي فيه ، إني لأرجو أقرب عقبى ذلك] عفوا [من الله ، عز وجل والله ما كان لي عذر ، والله ما كنت قط أفرغ ولا أيسر مني حين تخلفت عنك قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " : أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك . " فقمت وبادرني رجال من بني سلمة واتبعوني ، فقالوا لي : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ، ولقد عجزت ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به المتخلفون فقد كان كافيك] من ذنبك [استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك . قال : فوالله] ص [٢٣١ :ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي : قال : ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي أحد ؟ قالوا : نعم ،] لقيه معك [رجلان ، قالا ما قلت ، وقيل لهما مثل ما قيل لك . قلت : فمن هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العامري ، وهلال بن أمية الواقفي . فذكروا لي رجلين صالحين

قد شهدا بدرا لي فيهما أسوة . قال : فمضيت حين ذكروهما لي – قال : ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا – أيها الثلاثة – من بين من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا ، حتى تنكرت لي في نفسي الأرض ، فما هي بالأرض التي كنت أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة . فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم ، فكنت أشهد الصلاة مع المسلمين ، وأطوف بالأسواق فلا يكلمني أحد ، وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مجلسه بعد الصلاة فأسلم ، وأقول في نفسي : حرك شفتيه برد السلام علي أم لا ؟ ثم أصلي قريبا منه ، وأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي ، فإذا التفت نحوه أعرض ، حتى إذا طال علي ذلك من هجر المسلمين مشيت حتى تسورت حائط أبي قتادة - وهو ابن عمي ، وأحب الناس إلي – فسلمت عليه ، فوالله ما رد علي السلام ، فقلت له : يا أبا قتادة ، أنشدك الله : هل تعلم أني أحب الله ورسوله ؟ قال : فسكت . قال : فعدت فنشدته] فسكت ، فعدت فنشدته [فقال : الله ورسوله أعلم . قال : ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار . فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط الشام ، ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ قال : فطفق الناس يشيرون له إلي ،

حتى جاء فدفع إلي كتابا من ملك غسان ، وكنت كاتبا فإذا فيه : أما بعد ، فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك . قال : فقلت حين قرأتها : وهذا أيضا من البلاء . قال : فتيممت به التنور فسجرته حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين ، إذا برسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك . قال : فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال : بل اعتزلها ولا تقربها . قال : وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك قال : فقلت لامرأتي : الحقي بأهلك ، فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر . قال : فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له : يا رسول الله ، إن هلالا شيخ ضائع ليس له خادم ، فهل تكره أن أخدمه ؟ قال " : لا ولكن لا يقربنك " قالت : وإنه والله ما به حركة إلى شيء ، والله ما يزال يبكي من لدن أن كان من أمرك ما كان إلى يومه هذا . قال : فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك ، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه . قال : فقلت : والله لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أدري ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته وأنا رجل شاب ؟ قال : فلبثنا] بعد ذلك [عشر ليال ، فكمل لنا

خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال : ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى منا : قد ضاقت علي نفسي ،] ص [٢٣٢ :وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صارخا أوفى على جبل سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أبشر . قال : فخررت ساجدا ، وعرفت أن قد جاء فرج ، فآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب قبل صاحبي مبشرون ، وركض إلي رجل فرسا ، وسعى ساع من أسلم وأوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس . فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني ، فنزعت ثوبي ، فكسوتهما إياه ببشارته ، والله ما أملك غيرهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت أؤم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يلقاني الناس فوجا فوجا يهنئوني بالتوبة ، يقولون : ليهنك توبة الله عليك . حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد حوله الناس ، فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول ، حتى صافحني وهنأني ، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره قال : فكان كعب لا ينساها لطلحة . قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور " : أبشر بخير يوم مر عليك منذ

ولدتك أمك . " قال : قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال " : لا بل من عند الله . " قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر ، حتى يعرف ذلك منه . فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله . قال " : أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك . " قال : فقلت : فإني أمسك سهمي الذي بخيبر . وقلت : يا رسول الله ، إنما نجاني الله بالصدق ، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقا ما بقيت . قال : فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله من الصدق في الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني الله تعالى ، والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي . قال : وأنزل الله تعالى) : لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (قال كعب : فوالله ما أنعم الله علي من

نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ألا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوه] حين كذبوه [؛ فإن الله تعالى قال للذين كذبوه حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد ، قال الله تعالى (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون . يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين] (التوبة : ٩٥، . [٩٦ قال : وكنا خلفنا – أيها الثلاثة - عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا ، فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله أمرنا ، حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال الله تعالى (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) وليس تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا الذي] ص [٢٣٣ :ذكر مما خلفنا بتخلفنا عن الغزو ، وإنما هو عمن حلف له واعتذر إليه ، فقبل منه . هذا حديث صحيح ثابت متفق على صحته ، رواه صاحبا الصحيح : البخاري ومسلم من حديث الزهري ، بنحوه .

فقد تضمن هذا الحديث تفسير هذه الآية الكريمة بأحسن الوجوه وأبسطها . وكذا روي عن غير واحد من السلف في تفسيرها ، كما رواه الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر بن عبد الله في قوله تعالى) : وعلى الثلاثة الذين خلفوا (قال : هم كعب بن مالك ،

وهلال بن أمية ، ومرارة بن ربيعة وكلهم من الأنصار . وكذا قال مجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي وغير واحد – وكلهم قال : مرارة بن ربيعة .

وكذا في مسلم : مرارة بن ربيعة في بعض نسخه ، وفي بعضها : مرارة بن الربيع وفي رواية عن سعيد بن جبير : ربيع بن مرارة .

وقال الحسن البصري : ربيع بن مرارة أو مرارة بن ربيع . وفي رواية عن الضحاك : مرارة بن الربيع ، كما وقع في الصحيحين ، وهو الصواب .

وقوله " : فسموا رجلين شهدا بدرا " ، قيل : إنه خطأ من الزهري ، فإنه لا يعرف شهود واحد من هؤلاء الثلاثة بدرا ، والله أعلم .

ولما ذكر تعالى ما فرج به عن هؤلاء الثلاثة من الضيق والكرب ، من هجر المسلمين إياهم نحوا من خمسين ليلة بأيامها ، وضاقت عليهم أنفسهم ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، أي : مع سعتها ، فسددت عليهم المسالك والمذاهب ، فلا يهتدون ما يصنعون ، فصبروا لأمر الله ، واستكانوا لأمر الله ، وثبتوا حتى فرج الله عنهم بسبب صدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تخلفهم ، وأنه كان عن غير عذر ، فعوقبوا على ذلك هذه المدة ، ثم تاب الله عليهم ، فكان عاقبة صدقهم خيرا لهم وتوبة عليهم ؛ ولهذا قال) يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (أي :

اصدقوا والزموا الصدق تكونوا مع أهله وتنجوا من المهالك ويجعل لكم فرجا من أموركم ، ومخرجا ، وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن شقيق ؛ عن عبد الله ، هو ابن مسعود ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " : عليكم بالصدق ؛ فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب ، حتى] ص [٢٣٤ :يكتب عند الله كذابا "

.أخرجاه في الصحيحين .

وقال شعبة ، عن عمرو بن مرة ، سمع أبا عبيدة يحدث عن عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه ، أنه قال] : إن [الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل ، اقرءوا إن شئتم) : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين - (هكذا قرأها – ثم قال : فهل تجدون لأحد فيه رخصة .

وعن عبد الله بن عمر) : اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (مع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه . وقال الضحاك : مع أبي بكر وعمر وأصحابهما . وقال الحسن البصري : إن أردت أن تكون مع الصادقين ، فعليك بالزهد في الدنيا ، والكف عن أهل الملة.

قصة أصحاب الكهف

قال الله تعالى: { أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبا * إلى ... إِقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدا } [الكهف: ٩-٢٦] .

كان سبب نزول قصة أصحاب الكهف وخبر ذي القرنين، ما ذكره محمد بن إسحاق في السيرة وغيره أن قريشا بعثوا إلى اليهود يسألونهم عن أشياء يمتحنون بها رسول الله ويسألونه عنها ليختبروا ما يجيب به فيها، فقالوا: سلوه عن أقوام ذهبوا في الدهر فلا يدري ما صنعوا، وعن رجل طواف في الأرض، وعن الروح، فأنزل الله تعالى: { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ } [الإسراء: ٨٥] .

{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ } وقال ههنا: { أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبا } أي: ليسوا بعجب عظيم بالنسبة إلى ما أطلعناك عليه من الأخبار العظيمة، والآيات الباهرة، والعجائب الغريبة. والكهف: هو الغار في الجبل.

قال شعيب الجبائي: واسم كهفهم حيزم، وأما الرقيم: فعن ابن عباس أنه قال لا أدري ما المراد به. وقيل: هو الكتاب المرقوم فيه

أسماؤهم، وما جرى لهم كتب من بعدهم، اختاره ابن جرير وغيره. وقيل: هو اسم الجبل الذي فيه كهفهم. قال ابن عباس وشعيب الجبائي: واسمه بناجلوس. وقيل: هو اسم واد عند كهفهم. وقيل: اسم قرية هنالك، والله أعلم.قال شعيب الجبائي: واسم كلبهم حمران، واعتناء اليهود بأمرهم ومعرفة خبرهم، يدل على أن زمانهم متقدم على ما ذكره بعض المفسرين أنهم كانوا بعد المسيح، وأنهم كانوا نصارى.

والظاهر من السياق أن قومهم كانوا مشركين يعبدون الأصنام، قال كثير من المفسرين والمؤرخين وغيرهم: كانوا في زمن ملك يقال له: دقيانوس، وكانوا من أبناء الأكابر. وقيل: من أبناء الملوك.واتفق اجتماعهم في يوم عيد لقومهم، فرأوا ما يتعاطاه قومهم من السجود للأصنام، والتعظيم للأوثان، فنظروا بعين البصيرة، وكشف الله عن قلوبهم حجاب الغفلة، وألهمهم رشدهم، فعلموا أن قومهم ليسوا على شيء، فخرجوا عن دينهم، وانتموا إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

ويقال: إن كل واحد منهم لما أوقع الله في نفسه ما هداه إليه من التوحيد انحاز عن الناس، واتفق اجتماع هؤلاء الفتية في مكان واحد كما صح في (البخاري):« الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها

ائتلف، وما تناكر منها اختلف» فكل منهم سأل الآخر عن أمره، وعن شأنه، فأخبره ما هو عليه، واتفقوا على الانحياز عن قومهم والتبري منهم، والخروج من بين أظهرهم، والفرار بدينهم منهم، وهو المشروع حال الفتن، وظهور الشرور.

قال الله تعالى: { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذا شَطَطا * هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ } أي: بدليل ظاهر على ما ذهبوا إليه، وصاروا من الأمر عليه، {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبا} { وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ } أي: وإذ فارقتموهم في دينهم، وتبرأتم مما يعبدون من دون الله، وذلك لأنهم كانوا يشركون مع الله كما قال الخليل: { إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ } [الزخرف: ٢٦-٢٧] .

وهكذا هؤلاء الفتية قال بعضهم: إذ قد فارقتم قومكم في دينهم فاعتزلوهم بابدانكم، لتسلموا منهم أن يوصلوا إليكم شرا {فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقا} أي: يسبل عليكم ستره، وتكونوا تحت حفظه وكنفه، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، كما جاء في الحديث:« اللهم أحسن عاقبتنا في

الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة ».ثم ذكر تعالى صفة الغار الذي آووا إليه، وأن بابه موجه إلى نحو الشمال، وأعماقه إلى جهة القبلة، وذلك أنفع الأماكن أن يكون المكان قبليا، وبابه نحو الشمال فقال: { وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ } وقرىء: تزور { عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ } .

فأخبر أن الشمس يعني في زمن الصيف وأشباهه تشرق أول طلوعها في الغار في جانبه الغربي، ثم تشرع في الخروج منه قليلا قليلا، وهو ازورارها ذات اليمين، فترتفع في جو السماء وتتقلص عن باب الغار، ثم إذا تضيفت للغروب تشرع في الدخول فيه، من جهته الشرقية قليلا قليلا إلى حين الغروب، كما هو المشاهد بمثل هذا المكان. والحكمة في دخول الشمس إليه في بعض الأحيان أن لا يفسد هواؤه.

{ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ } أي: بقاؤهم على هذه الصفة دهرا طويلا من السنين، لا يأكلون ولا يشربون، ولا تتغذى أجسادهم في هذه المدة الطويلة من آيات الله، وبرهان قدرته العظيمة.{ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدا } قال بعضهم: لأن أعينهم مفتوحة لئلا تفسد بطول

الغمض { وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ } قيل في كل عام يتحولون مرة من جنب إلى جنب، ويحتمل أكثر من ذلك، فالله أعلم.{ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ} قال شعيب الجبائي: اسم كلبهم حمران، وقال غيره: الوصيد، اسكفة الباب، والمراد أن كلبهم الذي كان معهم، وصحبهم حال انفرادهم من قومهم، لزمهم ولم يدخل معهم في الكهف، بل ربض على بابه، ووضع يديه على الوصيد، وهذا من جملة أدبه، ومن جملة ما أكرموا به، فإن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب.

ولما كانت التبعية مؤثرة حتى كان في كلب هؤلاء صار باقيا معهم ببقائهم، لأن من أحب قوما سعد بهم، فإذا كان هذا في حق كلب، فما ظنك بمن تبع أهل الخير وهو أهل للإكرام.

وقد ذكر كثير من القصاص والمفسرين لهذا الكلب نبأ وخبرا طويلا أكثره متلقى من الإسرائيليات، وكثير منها كذب، ومما لا فائدة فيه، كاختلافهم في اسمه ولونه.

وأما اختلاف العلماء في محلة هذا الكهف، فقال كثيرون: هو بأرض أيلة، وقيل: بأرض نينوى، وقيل: بالبلقاء، وقيل: ببلاد الروم وهو أشبه، والله أعلم.

ولما ذكر الله تعالى ما هو الأنفع من خبرهم، والأهم من أمرهم، ووصف حالهم، حتى كأن السامع راءٍ، والمخبر مشاهد لصفة كهفهم وكيفيتهم في ذلك الكهف، وتقلبهم من جنب إلى جنب، وأن كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد.قال: {لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبا } أي: لما عليهم من المهابة والجلالة في أمرهم الذي صاروا إليه، ولعل الخطاب ههنا لجنس الإنسان المخاطب لا بخصوصية الرسول ، كقوله: { فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ } [التين: ٧] أي: أيها الإنسان، وذلك لأن طبيعة البشرية تفر من رؤية الأشياء المهيبة غالبا.

ولهذا قال: { لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبا } ودل على أن الخبر ليس كالمعاينة، كما جاء في الحديث لأن الخبر قد حصل، ولم يحصل الفرار ولا الرعب.

ثم ذكر تعالى أنه بعثهم من رقدتهم بعد نومهم بثلاثمائة سنة وتسع سنين فلما استيقظوا، قال بعضهم لبعض: { كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْما أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ } أي: بدراهمكم هذه، يعني التي معهم إلى المدينة، ويقال كان اسمها دفسوس.{ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاما} أي: أطيب مالا { فليأتكم برزق منه } أي: بطعام تأكلونه، وهذا

من زهدهم وورعهم { وَلْيَتَلَطَّفْ } أي: في دخوله إليها { وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدا * إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذا أَبَدا } أي: إن عدتم في ملتهم بعد إذ أنقذكم الله منها، وهذا كله لظنهم أنهم رقدوا يوما أو بعض يوم أو أكثر من ذلك، ولم يحسبوا أنهم قد رقدوا أزيد من ثلاثمائة سنة.

وقد تبدلت الدول أطوارا عديدة وتغيرت البلاد ومن عليها، وذهب أولئك القرن الذين كانوا فيهم، وجاء غيرهم، وذهبوا وجاء غيرهم، ولهذا لما خرج أحدهم وهو تيذوسيس فيما قيل، وجاء إلى المدينة متنكرا لئلا يعرفه أحد من قومه فيما يحسبه، تنكرت له البلاد، واستنكره من يراه من أهلها، واستغربوا شكله وصفته ودراهمه.

فيقال: إنهم حملوه إلى متوليهم، وخافوا من أمره أن يكون جاسوسا، أو تكون له صولة يخشون من مضرتها، فيقال: إنه هرب منهم، ويقال: بل أخبرهم خبره ومن معه وما كان من أمرهم، فانطلقوا معه ليريهم مكانهم، فلما قربوا من الكهف دخل إلى إخوانه، فأخبرهم حقيقة أمرهم، ومقدار ما رقدوا، فعلموا أن هذا أمر قدره الله، فيقال: إنهم استمروا راقدين، ويقال: بل ماتوا بعد ذلك.وأما أهل البلدة فيقال: إنهم لم يهتدوا إلى موضعهم من الغار، وعمي الله عليهم أمرهم، ويقال: لم يستطيعوا دخوله حسا، ويقال: مهابة لهم.

واختلفوا في أمرهم فقائلون يقولون: { ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانا } أي: سدوا عليهم باب الكهف لئلا يخرجوا أو لئلا يصل إليهم ما يؤذيهم، وآخرون وهم الغالبون على أمرهم قالوا: { لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدا } أي: معبدا يكون مباركا لمجاورته هؤلاء الصالحين، وهذا كان شائعا فيمن كان قبلنا.

فأما في شرعنا فقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله أنه قال:« لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما فعلوا.

وأما قوله: { وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا } فمعنى أعثرنا: أطلعنا على أمرهم الناس، قال كثير من المفسرين: ليعلم الناس أن المعاد حق، وأن الساعة لا ريب فيها، إذا علموا أن هؤلاء القوم رقدوا أزيد من ثلاثمائة سنة، ثم قاموا كما كانوا من غير تغير منهم، فإن من أبقاهم كما هم، قادر على إعادة الأبدان وإن أكلتها الديدان، وعلى إحياء الأموات وإن صارت أجسامهم وعظامهم رفاتا، وهذا مما لا يشك فيه المؤمنون {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [يس: ٨٢] .

ويحتمل عود الضمير في قوله: { لِيَعْلَمُوا } إلى أصحاب الكهف، إذ علمهم بذلك من أنفسهم أبلغ من علم غيرهم بهم، ويحتمل أن

يعود على الجميع، والله أعلم.ثم قال تعالى: { سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْما بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ} فذكر اختلاف الناس في كميتهم، فحكى ثلاثة أقوال، وضعف الأولين، وقرر الثالث، فدل على أنه الحق، إذ لو قيل غير ذلك لحكاه، ولو لم يكن هذا الثالث هو الصحيح لوهاه، فدل على ما قلناه.

ولما كان النزاع في مثل هذا لا طائل تحته ولا جدوى عنده، أرشد نبيه إلى الأدب في مثل هذا الحال، إذا اختلف الناس فيه أن يقول الله أعلم، ولهذا قال: { قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ } وقوله: { مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ } أي: من الناس { فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرا} أي: سهلا ولا تتكلف أعمال الجدال في مثل هذا الحال ولا تستفت في أمرهم أحدا من الرجال.ولهذا أبهم تعالى عدتهم في أول القصة فقال: { إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ } ولو كان في تعين عدتهم كبير فائدة لذكرها عالم الغيب والشهادة، وقوله تعالى: { وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدا } .

أدب عظيم أرشده الله تعالى إليه وحث خلقه عليه، وهو ما إذا قال أحدهم إني سأفعل في المستقبل كذا، فيشرع له أن يقول إن شاء

الله، ليكون ذلك تحقيقا لعزمه، لأن العبد لا يعلم ما في غد ولا يدري أهذا الذي عزم عليه مقدر أم لا.وليس هذا الاستثناء تعليقا وإنما هو الحقيقي، ولهذا قال ابن عباس: يصح إلى سنة، ولكن قد يكون في بعض المحال لهذا، ولهذا كما تقدم في قصة سليمان عليه السلام حين قال:« لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تلد كل واحدة منهن غلاما يقاتل في سبيل الله.

فقيل له: قل إن شاء الله، فلم يقل فطاف فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان قال رسول الله: والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركا لحاجته ».وقوله: { وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ } وذلك لأن النسيان قد يكون من الشيطان، فذكر الله يطرده عن القلب فيذكر ما كان قد نسيه.وقوله: { وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدا } أي: إذا اشتبه أمر وأشكل حال والتبس أقوال الناس في شيء فارغب إلى الله ييسره لك ويسهله عليك.

ثم قال: { وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعا } لما كان في الأخبار بطول مدة لبثهم فائدة عظيمة ذكرها تعالى وهذه التسع المزيدة بالقمرية وهي لتكميل ثلاثمائة شمسية، فإن كل مائة قمرية تنقص عن الشمسية ثلاث سنين.{ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا } أي: إذا سئلت

عن مثل هذا وليس عندك في ذلك نقل، فرد الأمر في ذلك إلى الله عز وجل { لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ } أي: هو العالم بالغيب فلا يطلع عليه إلا من شاء من خلقه { أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ } يعني أنه يضع الأشياء في محالها لعلمه التام بخلقه وبما يستحقونه.ثم قال: {مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدا } أي: ربك المنفرد بالملك والمتصرف وحده لا شريك له.

خبر ذي القرنين

قال تعالى: { وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرا إلى .. قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّا } . [الكهف: ٨٣-٩٨] .

ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا، وأثنى عليه بالعدل، وأنه بلغ المشارق والمغارب، وملك الأقاليم وقهر أهلها، وسار فيهم بالمعدلة التامة، والسلطان المؤيد، المظفر، المنصور، القاهر، المقسط، والصحيح: أنه كان ملكا من الملوك العادلين، وقيل: كان نبيا، وقيل: رسولا، وأغرب من قال: ملكا من الملائكة.

وقد حكى هذا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فإنه سمع رجلا يقول لآخر: يا ذا القرنين، فقال: مه ما كفاكم أن تتسموا بأسماء الأنبياء، حتى تسميتم بأسماء الملائكة. ذكره السهيلي.وقد روى وكيع عن إسرائيل، عن جابر، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو قال: كان ذو القرنين نبيا.وروى الحافظ ابن عساكر من حديث أبي محمد بن أبي نصر، عن أبي إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن أبي ذؤيب، حدثنا محمد بن حماد، أنبأنا عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن أبي ذؤيب، عن المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: « لا أدري أتبع كان لعينا أم لا، ولا أدري الحدود كفارات لأهلها

أم لا، ولا أدري ذو القرنين كان نبيا أم لا ». وهذا غريب من هذا الوجه. وقال إسحاق بن بشر: عن عثمان بن الساج، عن خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان ذو القرنين ملكا صالحا، رضي الله عمله، وأثنى عليه في كتابه، وكان منصورا، وكان الخضر وزيره، وذكر أن الخضر عليه السلام كان على مقدمة جيشه، وكان عنده بمنزلة المشاور، الذي هو من الملك بمنزلة الوزير في إصلاح الناس اليوم. وقد ذكر الأزرقي وغيره أن ذا القرنين أسلم على يدي إبراهيم الخليل، وطاف معه بالكعبة المكرمة هو وإسماعيل عليه السلام. وروى عن عبيد بن عمير، وابنه عبد الله وغيرهما، أن ذا القرنين حج ماشيا، وأن إبراهيم لما سمع بقدومه تلقاه، ودعا له ورضاه، وأن الله سخر لذي القرنين السحاب يحمله حيث أراد، والله اعلم.

واختلفوا في السبب الذي سمى به ذا القرنين فقيل: لأنه كان له في رأسه شبه القرنين، قال وهب بن منبه: كان له قرنان من نحاس في رأسه، وهذا ضعيف.وقال بعض أهل الكتاب: لأنه ملك فارس والروم، وقيل: لأنه بلغ قرني الشمس غربا وشرقا، وملك ما بينهما من الأرض، وهذا أشبه من غيره، وهو قول الزهري. وقال الحسن البصري: كانت له غديرتان من شعر يطافهما، فسمي ذي القرنين. وقال إسحاق بن بشر، عن عبد الله بن زياد بن سمعان، عن عمر

بن شعيب، عن أبيه، عن جده أنه قال: دعا ملكا جبارا إلى الله فضربه على قرنه فكسره ورضه، ثم دعاه فدق قرنه الثاني فكسره، فسمي ذي القرنين. وروى الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل، عن علي بن أبي طالب أنه سئل عن ذي القرنين، فقال: كان عبدا ناصح الله فناصحه، دعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات، فأحياه الله فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه الآخر، فمات فسمي ذا القرنين. وهكذا رواه شعبة القاسم بن أبي بزة، عن أبي الطفيل، عن علي به. وفي بعض الروايات عن أبي الطفيل عن علي قال: لم يكن نبيا ولا رسولا ولا ملكا، ولكن كان عبدا صالحا.

وقد اختلف في اسمه: فروى الزبير بن بكار عن ابن عباس: كان اسمه عبد الله بن الضحاك بن معد، وقيل: مصعب بن عبد الله بن قنان بن منصور بن عبد الله بن الأزد بن عون بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن قحطان. وقد جاء في حديث: أنه كان من حمير، وأمه رومية، وأنه كان يقال له ابن الفيلسوف لعقله. وقد أنشد بعض الحميريين في ذلك شعرا يفتخر بكونه أحد أجداده، فقال:

قد كان ذو القرنين جدي مسلما ملكا تدين له الملوك وتحشد

بلغ المشارق والمغارب يبتغي أسباب أمر من حكيم مرشد

فرأى مغيب الشمس عند غروبها في عين ذي خلب وثأط حرمد

من بعده بلقيس كانت عمتي ملكتهم حتى أتاها الهدهد

قال السهيلي: وقيل: كان اسمه مرزبان بن مرزبة. ذكره ابن هشام. وذكر في موضع آخر أن اسمه الصعب بن ذي مرائد، وهو أول التبابعة، وهو الذي حكم لإبراهيم في بئر السبع.وقيل: إنه أفريدون بن أسفيان الذي قتل الضحاك، وفي خطبة قس: يا معشر إياد بن الصعب ذو القرنين، ملك الخافقين، وأذل الثقلين، وعمر ألفين، ثم كان كلحظة عين، ثم أنشد ابن هشام للأعشى:

والصعب ذو القرنين أصبح ثاويا بالجنو في جدث أشم مقيما

وذكر الدارقطني، وابن ماكولا أن اسمه هرمس، ويقال: هرويس بن قيطون بن رومى بن لنطى بن كشلوخين بن يونان بن يافث بن نوح، فالله اعلم.وقال إسحاق بن بشر: عن سعيد بن بشير، عن قتادة، قال اسكندر: هو ذو القرنين، وأبوه أول القياصرة، وكان من ولد سام بن نوح عليه السلام، فأما ذو القرنين الثاني فهو: اسكندر بن فيلبس بن مصريم بن هرمس بن ميطون بن رومي بن لنطي بن يونان بن يافث بن يونة بن شرخون بن رومة بن شرفط بن توفيل

بن رومي بن الأصفر بن يقز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم، الخليل كذا نسبه الحافظ ابن عساكر في تاريخه. المقدوني اليوناني المصري باني إسكندرية، الذي يؤرخ بأيامه الروم، وكان متأخرا عن الأول بدهر طويل، كان هذا قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة، وكان أرطاطاليس الفيلسوف وزيره، وهو الذي قتل دارا بن دارا، وأذل ملوك الفرس، وأوطأ أرضهم.

وإنما نبهنا عليه لأن كثيرا من الناس يعتقد أنهما واحد، وأن المذكور في القرآن، هو الذي كان أرطاطاليس وزيره فيقع بسبب ذلك خطأ كبير، وفساد عريض طويل كثير، فإن الأول: كان عبدا مؤمنا صالحا وملكا عادلا، وكان وزيره الخضر، وقد كان نبيا على ما قررناه قبل هذا.

وأما الثاني: فكان مشركا، وكان وزيره فيلسوفا، وقد كان بين زمانهما أزيد من ألفي سنة، فأين هذا من هذا لا يستويان ولا يشتبهان إلا على غبي لا يعرف حقائق الأمور. فقوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ } كان سببه أن قريشا سألوا اليهود عن شيء يمتحنون به علم سول الله ، فقالوا لهم: سلوه عن رجل طوَّاف في الأرض، وعن فتية خرجوا لا يدري ما فعلوا، فأنزل الله تعالى قصة أصحاب الكهف، وقصة ذي القرنين، ولهذا قال: {قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ

ذِكْرا } أي: من خبره وشأنه.{ ذِكْرا } أي: خبرا نافعا كافيا في تعريف أمره، وشرح حاله، فقال: { إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبا} أي: وسعنا مملكته في البلاد، وأعطيناه من آلات المملكة ما يستعين به على تحصيل ما يحاوله من المهمات العظيمة، والمقاصد الجسيمة.قال قتيبة: عن أبي عوانة، عن سماك، عن حبيب بن حماد، قال: كنت عند علي بن أبي طالب، وسأله رجل عن ذي القرنين كيف بلغ المشرق والمغرب؟فقال له: سخر له السحاب، ومدت له الأسباب، وبسط له في النور، فكان الليل و النهار عليه سواء. وقال: أزيدك، فسكت الرجل، وسكت علي رضي الله عنه.

وعن أبي إسحاق السبيعي عن عمرو بن عبد الله الوادعي، سمعت معاوية يقول: ملك الأرض أربعة: سليمان بن داود النبي عليهما السلام، وذو القرنين، ورجل من أهل حلوان، ورجل آخر فقيل له الخضر؟قال: لا. وقال الزبير بن بكار: حدثني إبراهيم بن المنذر، عن محمد بن الضحاك، عن أبيه، عن سفيان الثوري قال: بلغني أنه ملك الأرض كلها أربعة: مؤمنان وكافران، سليمان النبي، وذو القرنين، و نمرود، وبخت نصر. وهكذا قال سعيد بن بشير سواء.وقال إسحاق بن بشر: عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن قال: كان ذو القرنين ملك بعد النمرود، وكان من

قصته أنه كان رجلا مسلما صالحا، أتى المشرق والمغرب، مدَّ الله له في الأجل، ونصره حتى قهر البلاد، واحتوى على الأموال، وفتح المدائن، وقتل الرجال، وجال في البلاد والقلاع، فسار حتى أتى المشرق والمغرب.فذلك قول الله: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرا } أي: خبرا { إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبا } أي: علما بطلب أسباب المنازل. قال إسحاق: وزعم مقاتل أنه كان يفتح المدائن ويجمع الكنوز، فمن اتبعه على دينه وتابعه عليه وإلا قتله.

وقال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وعبيد بن يعلى، والسدي، وقتادة، والضحاك: { وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبا} يعني: علما.وقال قتادة ومطر الوراق: معالم الأرض ومنازلها وأعلامها وآثارها. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني تعليم الألسنة، كان لا يغزو قوما إلا حدثهم بلغتهم.

والصحيح أنه يعم كل سبب يتوصل به إلى نيل مقصوده في المملكة وغيرها، فإنه كان يأخذ من كل إقليم من الأمتعة والمطاعم والزاد ما يكفيه، ويعينه على أهل الإقليم الآخر.

وذكر بعض أهل الكتاب أنه مكث ألفا وستمائة سنة، يجوب الأرض ويدعو أهلها إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وفي كل

هذه المدة نظر، والله أعلم.وقد روى البيهقي، وابن عساكر حديثا متعلقا بقوله: { وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبا } مطولا جدا، وهو منكر جدا، وفي إسناده محمد بن يونس الكديمي، وهو متهم، فلهذا لم نكتبه لسقوطه عندنا، والله أعلم.وقوله: { فَأَتْبَعَ سَبَبا} أي: طريقا {حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ} يعني من الأرض انتهى إلى حيث لا يمكن أحدا أن يجاوزه، ووقف على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له أوقيانوس، الذي فيه الجزائر المسماة بالخالدات، التي هي مبدأ الأطوال على أحد قولي أرباب الهيئة، والثاني من ساحل هذا البحر كما قدمنا، وعنده شاهد مغيب الشمس فيما رآه بالنسبة إلى مشاهدته.{ تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ } والمراد بها: البحر في نظره، فإن من كان في البحر أو على ساحله يرى الشمس كأنها تطلع من البحر وتغرب فيه، ولهذا قال: {وَجَدَهَا } أي: في نظره، ولم يقل: فإذا هي تغرب في عين حمئة أي: ذات حمأة.

قال كعب الأحبار: وهو الطين الأسود، وقرأه بعضهم: حامية، فقيل: يرجع إلى الأول، وقيل: من الحرارة، وذلك من شدة المقابلة لوهج ضوء الشمس وشعاعها.

وقد روى الإمام أحمد عن يزيد بن هارون، عن العوام بن حوشب: حدثني مولى لعبد الله بن عمرو، عن عبد الله قال: نظر رسول الله إلى الشمس حين غابت فقال: « في نار الله الحامية، لولا ما يزعها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض ».

فيه غرابة، وفيه رجل مبهم لم يسم، ورفعه فيه نظر، وقد يكون موقوفا من كلام عبد الله بن عمرو، فإنه أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب المتقدمين، فكان يحدث منها، والله أعلم.

ومن زعم من القصَّاص أن ذا القرنين جاوز مغرب الشمس، وصار يمشي بجيوشه في ظلمات مددا طويلة، فقد أخطأ وا بعد النجعة، وقال ما يخالف العقل والنقل.

قصة آصف بن برخيا

قصة آصف بن برخيا فيها اعجاز غريب وهي من عجائب القران وكما ان هناك ردود وشبهات وردت من بعض المفسرين من المذاهب الاخرى ، حيث ان البعض خانتهم أقلامهم وفسروا القصة بما يشتهي مزاج عقولهم ، من هنا وبعد بحث ودراسة التفاسير والمقالات والحقائق , وصلنا لنشرح ونفسر تلك القصة ، كما فسرها علمائنا وباحثينا الكرام.

لنبدأ اولا بتعريف من هو آصف بن برخيا؟

آصف بن برخيا هو وصي و وزير سليمان عليه السلام , وهو الذي أتى بعرش بلقيس بطرفة عين ، وجعله امام سليمان (ع) ، و آصف بن برخيا هو من الإنس وليس من الجن كما يزعم بعض المفسرين من المذاهب الاخرى، وكما سنشرحه لاحقا , أخوه هو صفورا بن برخيا ، ولصفورا تسعة أبناء وهم من سلالة مؤمنة مقدسة ، القصة تدور حول عرش وشعب بلقيس ، الذين كانوا في ضلال مبين من عبادتهم، يقول المفسرون من المذاهب الاخرى بأنه لايمكن لبشر ان يأتي بعرش بلقيس من اليمن الى فلسطين بطرفة عين , لابد لهذا ان يكون من الجن ، هذا ليس بمنطق لانهم لم يتمعنوا في الآية الكريمة ولم يلتفتوا لسر هذه الآية، وهي واضحة كقرص الشمس، بالمقابل كل العلماء ونحن والمفسرين وحتى القران

نقول بان آصف بن برخيا كان من الإنس ، وقبل ان نقرأ ونفسر الآية الكريمة ، سأذكر لكم تفسير الجلالين الذي ورد في التوراة حيث تقول الآية) آصف بن برخيا كان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعا به أجيب) لاحظ كلمة صديقا) ، ثم في الزبور في المزمور آية (١٨) تقول (يا آصف ويعلموا انك اسمك يهوه وحدك العلي على كل الارض) ، فالتوراة والزبور يقران بان آصف كان من الإنس وكان صديقا ، ثم اقرأ تفسير المسعودي ليذكر لك ان آصف وأخوه من الانس وليس من الجن . والان لنقرأ ونفسر الآية الكريمة في سورة النمل ولنتمعن جيدا لكلمات الآية حيث يقول تبارك وتعالى (قال يأيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل يأتوني مسلمين ، قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك ، واني عليه لقوي أمين ، قال الذي عنده علم من الكتاب ، انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك ، فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ، ليبلوني ان أشكر ام أكفر و من شكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان ربي غني كريم) ،، الآية واضحة جدا ، ومن هنا بدأت المغالطات والمفارقات عند المفسرين من المذاهب الاخرى ، حيث لم يلتفتوا الى اعجاز القران في الولاية التكوينية التي بينتها الآية الكريمة ، المشهد صريح وواضح ، حيث ان الهدهد اتى بخبر بلقيس وعرشها , والملأ جميعهم امام سليمان (ع) ، والملأ كان

من الجن والإنس والعفاريت والطير والحيوان ، فهل كل هذه المخلوقات كانت من الجن ؟ الجواب قطعا كلا !! ، ربما يسأل السائل ويقول لماذا لم يناجي سليمان (ع) ربه كي يستقر العرش امامه ؟ وهو أعظمهم ؟ بلى كان يستطيع ، ولكن الآية تريد بيان الولاية التكوينية للاوصياء حيث ان آصف بن برخيا كان وزيرا ووصيا لسليمان (ع) ، وكان يريد ان يخلف وصي من بعده، والوصي كان آصف ، عندما قال سليمان للملأ من يأتيني بعرش بلقيس ، فقام عفريت من الجن وقال انا آتيك به ، فلماذا لم يدعه سليمان بالإتيان؟ هنا المغالطة تبدأ عند المفسرين ، يقرون بان آصف بن برخيا هو من الجن ، والسؤال ، كيف يكون للجن ان تكون له الولاية التكوينية من عند الله؟ ونحن نعلم بان الجن لا يملك اسم الله الأعظم ، فلماذا قام آصف بن برخيا وتقدم على الجن وقال لسليمان (ع) انا آتيك به قبل ان يرتد طرفك؟ هنا يريد آصف بن برخيا ان يبين الولاية التكوينية التي منحه الله على الملأ جميعا , لانه كان يملك الإسم الأعظم ، بدليل نص القران ، والتي تقول (قال الذي عنده علم من الكتاب) أي آصف ، والعلم هذا هو الاسم الاعظم ، ثم كيف يكون لوصي النبي من الجن؟ فالآية تصر ان آصف بن برخيا كان من الإنس ، وكان عنده علم من الكتاب (اي علم واحد (والدليل الاخر عندما أتى بعرش بلقيس

بطرفة عين ، قال سليمان (ع) هذا من فضل ربي , وكان سليمان (ع) يريد ان يبين للملأ بان فضل الولاية التكوينية موجودة في آصف ، وان الرب اودع فيه اسم من الاسماء الأعظم ، ثم ان سليمان (ع) شكر آصف والذي بين القدرة في اعجاز وتكوين الاسم الاعظم ، وقال ان الذي يكفر بما رأى من قدرة آصف فالله غني عن هذا الكفر ، ومن ناحية اخرى كان آصف بن برخيا وصيا لسليمان (ع) ، اراد ان يعرف الناس بانه الحجة من بعده ، بابراز علمه المأخوذ من الكتاب ، (راجع تفاسير الجزائري) وكان عنده مقدار معين من علم الكتاب ، وليس كله ، لو تلاحظ كلمة (من) في الآية تبين لك انها (من) (التبعيضية) والتي تقدمت في الآية ، مانريده في الآية الكريمة هو (قال الذي عنده علم من الكتاب) والذي نستفيد منه هو الذي عنده علم من الكتاب هنما قال هذا تجاه من كان من الجن ، وهذا دليل واضح بان آصف بن برخيا كان من الإنس ، ةوقد وردت الروايات عن الائمة عليهم السلام ان آصف بن برخيا كان وزيرا لسليمان (ع) ، وانه كان عنده الاسم الاعظم ، وقد تصرف في التكوينات عن طريق ولايته في ذلك حيث نقل عرش بلقيس باقل من طرفة عين ، وهذا يدل دلالة واضحة على الولاية التكوينية على انه لم تذكر الآية الكريمة التي جاءت لسياق بيان هذه الولاية ، والتي كانت بأمر الله ، وانما تبين

عن طريق العلم الذي بحوزته من الكتاب ، ولا يعني هذا ان آصف بن برخيا كان لديه علوم الكتاب كلها ، بل أقرت الآية وقالت (علم من الكتاب (اي ان هناك اشخاصا اعلم من آصف ولكن الله لم يذكرهم ، وكان آصف بن برخيا كان يناجي ربه بهذه الكلمات (آهيا شراهيا) وتعني الحي القيوم او ذوالجلال والاكرام او الله الرحمن (حسب التفاسير) ، وعندما تتمعن في الالفاظ والمفاهيم تراها تدل على ان هناك ارتباط قوي بين الله وآصف ، حيث قال لسليمان (ع) أنا آتيك به ، وهذا تأكيد بقدرة آصف بن برخيا من جواب ربه عندما يناجيه بالاسم الاعظم.

ولنقرأ معا المصادر والاقوال بثبوتية إنسية آصف بن برخيا: ,

ففي روضة الواعظين عن النبي (ص) انه سئل عن الذي عنده علم من الكتاب ، فقال : (ذلك هو وصي أخي سليمان ابن داود.

وفي البصائر والكافي ، عن الباقر (ع) قال : (ان اسم الله الاعظم على ثلاث وسبعين حرفا وانما كان عند آصف بن برخيا منها حرف واحد ، فتكلم به فخسف بالارض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده ، ثم عادت الارض كما كانت اسرع من طرفة عين ، وعندنا نحن من الاسم الاعظم اثنان وسبعون حرفا وحرف عند الله استأثر به في علم الغيب عنده ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم) ، انظر الى عظمة أهل البيت عليهم السلام. .

وعن الهادي قال : (فتكلم به فانخرقت له الارض فيما بينه وبين سبأ ، فتناول عرش بلقيس حتى سيره الى سليمان (ع) ثم انبسطت الارض في أقل من طرفة عين.

وفي المجمع يقول الصادق : قال ان الارض طويت له.

وعن العياش عن الهادي قال : (الذي عنده علم من الكتاب فهو آصف بن برخيا ة لم يعجز سليمان (ع) عن معرفة ما عرفه آصف لكنه اراد ان يبين للجن والانس انه الحجة من بعده.

وعندما رأى سليمان (ع) العرش مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ، تمعن في هذه العبارة جيدا ، ومن هنا نستفيد وبوضوح الأدلة بان الولاية التكوينية أمر ممكن ومقبول في نظر القرآن ، وان آصف بن برخيا كان من الإنس وليس من الجن كما يزعم الاخرون ، فلا يمكن توديع الولاية التكوينية والاعجاز والاسم الاعظم من عند الله في الجن ، وخصوصا مع الانبياء واعلاء كلمة الله.

قصة لقمان

قال تعالى: { وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ إلى ... وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ } [لقمان: ١٢-١٩] .

هو لقمان بن عنقاء بن سدون، ويقال: لقمان بن ثاران. حكاه السهيلي، عن ابن جرير والقتيبي.قال السهيلي: وكان نوبيا من أهل أيلة، قلت: وكان رجلا صالحا ذا عبادة، وعبارة وحكمة عظيمة.ويقال: كان قاضيا في زمن داود عليه السلام، فالله أعلم. وقال سفيان الثوري، عن الأشعث، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان عبدا حبشيا نجارا.وقال قتادة، عن عبد الله بن الزبير قلت: لجابر بن عبد الله ما انتهى إليكم في شأن لقمان؟ قال: كان قصيرا أفطس من النوبة.

وقال يحيى بن سعيد الأنصاري، عن سعيد بن المسيب قال: كان لقمان من سودان مصر، ذو مشافر أعطاه الله الحكمة، ومنعه النبوة.وقال الأوزاعي: حدثني عبد الرحمن بن حرملة قال: جاء أسود إلى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد: لا تحزن من أجل أنك

أسود فإنه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان: بلال ومهجع مولى عمر ولقمان الحكيم. كان أسود نوبيا ذا مشافر. وقال الأعمش، عن مجاهد: كان لقمان عبدا أسود، عظيم الشفتين، مشقق القدمين، وفي رواية: مصفح القدمين.وقال عمر بن قيس: كان عبدا أسود، غليظ الشفتين، مصفح القدمين، فأتاه رجل وهو في مجلس أناس يحدثهم فقال له: ألست الذي كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا؟ قال: نعم. قال: فما بلغ بك ما أرى؟ قال: صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني. رواه ابن جرير عن ابن حميد عن الحكم عنه.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا صفوان، حدثنا الوليد، حدثنا عبد الرحمن بن أبي يزيد بن جابر قال: إن الله رفع لقمان الحكيم لحكمته، فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال: ألست عبد بن فلان الذي كنت ترعى غنمي بالأمس؟ قال: بلى. قال: فما بلغ بك ما أرى؟ قال: قدر الله، وأداء الأمانة، وصدق الحديث، وترك ما لا يعنيني.وقال ابن وهب: أخبرني عبد الله بن عياش الفتياني، عن عمر مولى عفرة قال: وقف رجل على لقمان الحكيم فقال: أنت لقمان أنت عبد بني النحاس؟قال: نعم.قال: فأنت راعي الغنم الأسود؟قال: أما سوادي فظاهر فما الذي يعجبك من أمري؟ قال: وطء الناس بساطك، وغشيهم بابك، ورضاهم

بقولك. قال: يا ابن أخي إن صنعت ما أقول لك كنت كذلك. قال: ما هو؟ قال لقمان: غضي بصري، وكفي لساني، وعفة مطمعي، وحفظي فرجي، وقيامي بعدتي، ووفائي بعهدي، وتكرمتي ضيفي، وحفظي جاري، وتركي ما لا يعنيني، فذاك الذي صيرني كما ترى.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن فضيل، حدثنا عمرو بن واقد، عن عبدة ابن رباح، عن ربيعة، عن أبي الدرداء أنه قال يوما وذكر لقمان الحكيم فقال: ما أوتي عن أهل، ولا مال، ولا حسب، ولا خصال، ولكنه كان رجلا ضمضامة، سكيتا طويل التفكر، عميق النظر، لم ينم نهارا قط، ولم يره أحد يبزق، ولا يتنحنح، ولا يبول، ولا يتغوط، ولا يغتسل، ولا يعبث، ولا يضحك، وكان لا يعيد منطقا نطقه، إلا أن يقول حكمة يستعيدها إياه أحد.

وكان قد تزوج وولد له أولاد فماتوا، فلم يبك عليهم، وكان يغشى السلطان ويأتي الحكام لينظر ويتفكر ويعتبر، فبذلك أوتي ما أوتي، ومنهم من زعم أنه عرضت عليه النبوة، فخاف أن لا يقوم بأعبائها فاختار الحكمة، لأنها أسهل عليه، وفي هذا نظر، والله أعلم. وهذا مروي عن قتادة كما سنذكره.

وروى ابن أبي حاتم، وابن جرير، من طريق وكيع، عن إسرائيل، عن جابر الجعفي، عن عكرمة أنه قال: كان لقمان نبيا، وهذا ضعيف الحال الجعفي.

والمشهور عن الجمهور أنه كان حكيما وليا ولم يكن نبيا. وقد ذكره الله تعالى في القرآن فأثنى عليه، وحكى من كلامه فيما وعظ به ولده الذي هو أحب الخلق إليه، وهو أشفق الناس عليه، فكان من أول ما وعظ به أن قال: { يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } فنهاه عنه، وحذره منه.وقد قال البخاري: حدثنا قتيبة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: لما نزلت { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على أصحاب رسول الله وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله:« إنه ليس بذاك ألم تسمع إلى قول لقمان: {يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }رواه مسلم من حديث سليمان بن مهران الأعمش به.

ثم اعترض تعالى بالوصية بالوالدين، وبيان حقهما على الولد وتأكده، وأمر بالإحسان إليهما حتى ولو كانا مشركين، ولكن لا يطاعان على الدخول في دينهما، إلى أن قال مخبرا عن لقمان فيما وعظ به ولده: {يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي

صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ } ينهاه عن ظلم الناس ولو بحبة خردل، فإن الله يسأل عنها، ويحضرها حوزة الحساب، ويضعها في الميزان كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ }. [النساء: ٤٠] وقال تعالى: { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ } [الأنبياء: ٤٧] وأخبره أن هذا الظلم لو كان في الحقارة كالخردلة، ولو كان في جوف صخرة صماء لا باب لها ولا كوة، أو لو كانت ساقطة في شيء من ظلمات الأرض أو السموات في اتساعهما وامتداد أرجائهما، لعلم الله مكانها.{ إن الله لطيف خبير } أي: علمه دقيق فلا يخفى عليه الذر مما تراءى للنواظر، أو توارى، كما قال تعالى: { وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [الأنعام: ٥٩] .

وقال: { وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [النمل: ٧٥] وقال: { عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [سبأ: ٣] .

وقد زعم السدي في خبره عن الصحابة أن المراد بهذه الصخرة الصخرة التي تحت الأرضين السبع، وهكذا حكي عن عطية العوفي، وأبي مالك، والثوري، والمنهال بن عمر، وغيرهم، وفي صحة هذا القول من أصله نظر.

ثم إن في هذا المراد نظر آخر ؛ فإن هذه الآية نكرة غير معرفة، فلو كان المراد بها ما قالوه لقال: فتكن في الصخرة، وإنما المراد: فتكن في صخرة، أي: صخرة كانت. كما قال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله قال:« لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة، لخرج عمله للناس كائنا ما كان ».ثم قال: { يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ } أي: أدها بجميع واجباتها من حدودها، وأوقاتها، وركوعها، وسجودها، وطمأنينتها، وخشو عها، وما شرع فيها، واجتنب ما ينهي عنه فيها.

ثم قال: { وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ } أي: بجهدك وطاقتك، أي: إن استطعت باليد فباليد، وإلا فبلسانك، فإن لم تستطع فبقلبك، ثم أمره بالصبر فقال: { وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ} وذلك أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر في مظنة أن يعادى وينال منه، ولكن له العاقبة، ولهذا أمره بالصبر على ذلك، ومعلوم

أن عاقبة الصبر الفرج.وقوله: { إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } التي لا بد منها ولا محيد عنها. وقوله: { وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ } قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والضحاك، ويزيد بن الأصم، وأبو الجوزاء، وغير واحد معناه: لا تتكبر على الناس، وتميل خدك حال كلامك لهم، وكلامهم لك على وجه التكبر عليهم والازدراء لهم.

قال أهل اللغة: وأصل الصعر داء يأخذه الإبل في أعناقها فتلتوي رؤوسها، فشبه به الرجل المتكبر الذي يميل وجهه إذا كلم الناس أو كلموه على وجه التعظم عليهم. قال أبو طالب في شعره:

وكنا قديما لا نقر ظلامة إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها

وقال عمرو بن حيي التغلبي:

وكنا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من ميله فتقوما

وقوله: {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} ينهاه عن التبختر في المشية على وجه العظمة والفخر على الناس، كما قال تعالى: { وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا } [الإسراء: ٣٧] .

يعني لست بسرعة مشيك تقطع البلاد في مشيتك هذه، ولست بدقك الأرض برجلك تخرق الأرض بوطئك عليها، ولست بتشامخك وتعاظمك وترفعك تبلغ الجبال طولا، فاتئد على نفسك فلست تعدو قدرك.وقد ثبت في الحديث:« بينما رجل يمشي في برديه يتبختر فيهما، إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلل فيها إلى يوم القيامة ».وفي الحديث الآخر:« إياك وإسبال الإزار، فإنها من المخيلة لا يحبها الله ».كما قال في هذه الآية: { إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } .

ولما نهاه عن الاختيال في المشي أمره بالقصد فيه، فإنه لا بد له أن يمشي فنهاه عن الشر وأمره بالخير، فقال: {واقصد في مشيك} أي: لا تبتاطأ مفرطا ولا تسرع إسراعا مفرطا، ولكن بين ذلك قواما، كما قال تعالى: { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاما } [الفرقان: ٦٣]ثم قال: {وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ } يعني إذا تكلمت لا تتكلف رفع صوتك، فإن أرفع الأصوات وأنكرها صوت الحمير.وقد ثبت في الصحيحين الأمر بالاستعاذة عند سماع صوت الحمير بالليل، فإنها رأت شيطانا.

ولهذا نهى عن رفع الصوت حيث لا حاجة إليه، ولا سيما عند العطاس فيستحب خفض الصوت، وتخمير الوجه كما ثبت به الحديث من صنيع رسول الله فأما رفع الصوت بالأذان، وعند الدعاء إلى الفئة للقتال، وعند الإهلاك ونحو ذلك، فذلك مشروع، فهذا مما قصه الله تعالى عن لقمان عليه السلام في القرآن، من الحكم، والوصايا النافعة الجامعة للخير، المانعة من الشر، وقد وردت آثار كثيرة في أخباره ومواعظه، وقد كان له كتاب يؤثر عنه يسمى بحكمة لقمان، ونحن نذكر من ذلك ما تيسر إن شاء الله تعالى.

قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن إسحاق، أنبأنا ابن المبارك، أنبأنا سفيان، أخبرني نهيك بن يجمع الضبي، عن قزعة، عن ابن عمر، قال: أخبرنا رسول الله قال:« إن لقمان الحكيم كان يقول: إن الله إذا استودع شيئا حفظه ».وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عيسى بن يونس، عن الأوزاعي، عن موسى ابن سليمان، عن القاسم بن مخيمرة أن رسول الله قال:« قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني إياك والتقنع فإنه مخونة بالليل مذمة بالنهار ».وقال أيضا: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن عمارة، حدثنا ضمرة، حدثنا السري بن يحيى، قال لقمان لابنه: يا بني إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك.

وحدثنا أبي، حدثنا عبدة بن سليمان، أنبأنا ابن المبارك، أنبأنا عبد الرحمن المسعودي، عن عون بن عبد الله قال:قال لقمان لابنه: يا بني إذا أتيت نادي قوم فأدمهم بسهم الإسلام – يعني السلام – ثم اجلس بناحيتهم فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا، فإن أفاضوا في ذكر الله فأجل سهمك معهم، وإن أفاضوا في غير ذلك فحول عنهم إلى غيرهم.

وحدثنا أبي، حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا ضمرة، عن حفص بن عمر، قال: وضع لقمان جرابا من خردل إلى جانبه، وجعل يعظ ابنه وعظة ويخرج خردلة، حتى نفد الخردل، فقال: يا بني لقد وعظتك موعظة لو وعظها جبل تفطر، قال: فتفطر ابنه.وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا يحيى بن عبد الباقي المصيصي، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الحراني، حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي، عن ابن سفيان المقدسي، عن خليفة بن سلام، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس قال: قال رسول الله:« اتخذوا السودان فإن ثلاثة منهم من أهل الجنة: لقمان الحكيم، والنجاشي، وبلال المؤذن ».قال الطبراني: يعني الحبشي، وهذا حديث غريب منكر. وقد ذكر له الإمام أحمد في كتاب (الزاهد) ترجمة ذكر فيها فوائد مهمة جمة، فقال: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن رجل، عن مجاهد: { وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ } قال: الفقه، والإصابة في

غير نبوة. وكذا روي عن وهب بن منبه.وحدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن أشعث، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان لقمان عبدا حبشيا.وحدثنا أسود، حدثنا حماد، عن علي بن يزيد، عن سعيد بن المسيب أن لقمان كان خياطا.وحدثنا سياد، حدثنا جعفر، حدثنا مالك – يعني بن دينار – قال: قال لقمان لابنه: يا بني اتخذ طاعة الله تجارة، تأتك الأرباح من غير بضاعة.

وحدثنا يزيد، حدثنا أبو الأشهب، عن محمد بن واسع قال: كان لقمان يقول لابنه يا بني اتق الله، ولا تُري الناس أنك تخشى الله ليكرموك بذلك وقلبك فاجر.وحدثنا يزيد بن هرون ووكيع قالا: حدثنا أبو الأشهب، عن خالد الربعي قال: كان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له سيده: اذبح لي شاة، فذبح له شاة فقال: ائتني بأطيب مضغتين فيها فأتاه باللسان والقلب، فقال له: أما كان فيها شيء أطيب من هذين؟قال: لا، قال: فسكت عنه ما سكت، ثم قال له: اذبح لي شاة، فذبح له شاة فقال له: وألق أخبثها مضغتين فرمى باللسان والقلب، فقال: أمرتك أن تأتيني بأطيبها مضغتين فأتيتني باللسان والقلب، وأمرتك أن تلقي أخبثها مضغتين فألقيت اللسان والقلب، فقال له: إنه ليس شيء أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا.

وحدثنا داود بن رشيد، حدثنا ابن المبارك، حدثنا معمر، عن أبي عثمان – رجل من أهل البصرة يقال له الجعد أبو عثمان – قال: قال لقمان لابنه: لا ترغب في ود الجاهل فيرى أنك ترضى عمله، ولا تهاون بمقت الحكيم فيزهده فيك.

وحدثنا داود بن أسيد، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد الحضرمي، عن عبد الله بن زيد قال: قال لقمان ألا أن يد الله على أفواه الحكماء، لا يتكلم أحدهم إلا ما هيأ الله له.وحدثنا عبد الرزاق، سمعت بن جريج قال: كنت أقنّع رأسي بالليل.فقال لي عمر: أما علمت أن لقمان قال: القناع بالنهار مذلة معذرة.أو قال: معجزة بالليل، فلم تقنع رأسك بالليل؟قال: قلت له: إن لقمان لم يكن عليه دين.

وحدثني حسن بن الجنيد، حدثنا سفيان، قال لقمان لابنه: يا بني ما ندمت على السكوت قط، وإن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب.وحدثنا عبد الصمد ووكيع قالا: حدثنا أبو الأشهب، عن قتادة أن لقمان قال لابنه: يا بني اعتزل الشر يعتزلك، فإن الشر للشر خلق.وحدثنا أبو معاوية، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه قال: مكتوب في الحكمة يا بني إياك والرغب، فإن الرغب كل الرغب يبعد القريب من القريب، ويزيل الحكم كما يزيل الطرب. يا

بني إياك وشدة الغضب، فإن شدة الغضب ممحقة لفؤاد الحكيم.قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا نافع بن عمر، عن ابن أبي مليكة، عن عبيد بن عمير قال: قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني اختر المجالس على عينك، فإذا رأيت المجلس يذكر فيه الله عز وجل فاجلس معهم، فإنك إن تك عالما ينفعك علمك، وإن تك غبيا يعلموك، وإن يطلع الله عليهم برحمة تصيبك معهم، يا بني لا تجلس في المجلس الذي لا يذكر الله فيه، فإنك إن تك عالما لا ينفعك علمك، وإن تك غبيا يزيدوك غبيا، وإن يطلع الله إليهم بعد ذلك بسخط يصيبك معهم يا بني لا تغبطوا أمراء رحب الذراعين، يسفك دماء المؤمنين، فإن له عند الله قاتلا لا يموت.

وحدثنا أبو معاوية، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه قال: مكتوب في الحكمة: بني لتكن كلمتك طيبة، وليكن وجهك بسطا، تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء. وقال: مكتوب في الحكمة أو في التوراة: الرفق رأس الحكمة. وقال: مكتوب في التوراة: كما تَرحمون تُرحمون. وقال: مكتوب في الحكمة: كما تزرعون تحصدون. وقال: مكتوب في الحكمة: أحب خليلك وخليل أبيك. وحدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة قال: قيل للقمان أي الناس أصبر؟ قال: صبر لا يتبعه أذى. قيل: فأي الناس أعلم؟

قال: من ازداد من علم الناس إلى علمه. قيل: فأي الناس خير؟ قال: الغني. قيل: الغني من المال؟ قال: لا، ولكن الغني الذي إذا التمس عنده خير وجد، وإلا أغنى نفسه عن الناس. وحدثنا سفيان – هو ابن عيينة – قال: قيل للقمان: أي الناس شر؟ قال: الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئا. وحدثنا أبو الصمد، عن مالك بن دينار قال: وجدت في بعض الحكمة يبدد الله عظام الذين يتكلمون بأهواء الناس، ووجدت فيها لا خير لك في أن تعلم ما لم تعلم، ولما تعمل بما قد علمت، فإن مثل ذلك مثل رجل احتطب حطبا فحزم حزمة، ثم ذهب يحملها فعجز عنها فضم إليه أخرى.

وقال عبد الله بن أحمد: حدثنا الحكم بن أبي زهير وهو – الحكم بن موسى – حدثنا الفرج بن فضالة، عن أبي سعيد قال: قال لقمان لابنه: يا بني لا يأكل طعامك إلا الأتقياء، وشاور في أمرك العلماء.

وهذا مجموع ما ذكره الإمام أحمد في هذه المواضع، وقد قدمنا من الآثار كثيرا لم يروها، كما أنه ذكر أشياء ليست عندنا، والله أعلم

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا العباس بن الوليد، حدثنا زيد بن يحيى بن عبيد الخزاعي، حدثنا سعيد بن بشير، عن قتادة قال: خير الله لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة، فاختار الحكمة على

النبوة، قال: فأتاه جبريل وهو نائم فذرَّ عليه الحكمة، قال: فأصبح ينطق بها. قال سعد: سمعت قتادة يقول: قيل للقمان كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك؟ فقال: إنه لو أرسل إلي بالنبوة عزمة لرجوت فيه الفوز منه، ولكنت أرجو أن أقوم بها، ولكن خيرني فخفت أن أضعف عن النبوة، فكانت الحكمة أحب إلي. وهذا فيه نظر، لأن سعيد بن بشير عن قتادة، قد تكلموا فيه، والذي رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله: { وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ } قال: يعني الفقه والإسلام، ولم يكن نبيا ولم يوح إليه.

وهكذا نصَّ على هذا غير واحد من السلف منهم: مجاهد، وسعيد بن المسيب، وابن عباس، والله أعلم

قصة قوم يس وهم أصحاب القرية

قال الله تعالى: { وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ إلى .... إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ} [يس: ١٣-٢٩]

اشتهر عن كثير من السلف والخلف أن هذه القرية أنطاكية. رواه ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، وكذا روي عن بريدة بن الحصيب، وعكرمة، وقتادة، والزهري، وغيرهم. قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس، وكعب، ووهب أنهم قالوا: وكان لها ملك اسمه انطيخس بن انطيخس وكان يعبد الأصنام. فبعث الله إليه ثلاثة من الرسل وهم: صادق ومصدوق وشلوم، فكذبهم.

وهذا ظاهر أنهم رسل من الله عز وجل، وزعم قتادة أنهم كانوا رسلًا من المسيح. وكذا قال ابن جرير عن وهب، عن ابن سليمان، عن شعيب الجبائي: كان اسم المرسلين الأوليين: شمعون ويوحنا، واسم الثالث بولس، والقرية أنطاكية.

وهذا القول ضعيف جدًا: لأن أهل أنطاكية لما بعث إليهم المسيح ثلاثة من الحواريين، كانوا أول مدينة آمنت بالمسيح في ذلك الوقت.

ولهذا كانت إحدى المدن الأربع التي تكون فيها بتاركة النصارى، وهن: أنطاكية، والقدس، واسكندرية، ورومية، ثم بعدها إلى القسطنطينية ولم يهلكوا. وأهل هذه القرية المذكورة في القرآن أهلكوا كما قال في آخر قصتها، بعد قتلهم صديق المرسلين: { إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ } لكن إن كانت الرسل الثلاثة المذكورون في القرآن، بعثوا إلى أهل أنطاكية قديمًا، فكذبوهم وأهلكهم الله ثم عمرت بعد ذلك. فلما كان في زمن المسيح آمنوا برسله إليهم فلا يمنع هذا، والله أعلم.

فأما القول بأن هذه القصة المذكورة في القرآن هي قصة أصحاب المسيح فضعيف لما تقدم، ولأن ظاهر سياق القرآن يقتضي أن هؤلاء الرسل من عند الله. قال تعالى: { وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا } يعني لقومك يا محمد.{ أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ } يعني المدينة. { إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ } أي: أيدناهما بثالث في الرسالة.{ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ } فردوا عليهم بأنهم بشر مثلهم، كما قالت الأمم الكافرة لرسلهم يستبعدون أن يبعث الله نبيًا بشريًا، فأجابوهم بأن الله يعلم أنا رسله إليكم، ولو كنا كذبنا عليه لعاقبنا وانتقم منا أشد الانتقام. { وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } أي: إنما علينا أي نبلغكم ما أرسلنا به إليكم والله هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

{ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ} أي: تشاءمنا بما جئتمونا به. { لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ } بالمقال، وقيل: بالفعال ويؤيد الأول قوله: {وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ} فوعدوهم بالقتل والإهانة. {قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ} أي: مردود عليكم. {أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ} أي: بسبب أنا ذكرناكم بالهدى ودعوناكم إليه توعدتمونا بالقتل والإهانة.{ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ } أي: لا تقبلون الحق ولا تريدونه.وقوله تعالى: { وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى} يعني لنصرة الرسل وإظهار الإيمان بهم.{ قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ } أي: يدعونكم إلى الحق المحض بلا أجرة ولا جعالة. ثم دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن عبادة ما سواه مما لا ينفع شيئًا لا في الدنيا ولا في الآخرة. {إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} أي: إن تركت عبادة الله وعبدت معه ما سواه. ثم قال مخاطبًا للرسل: {إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ} قيل: فاستمعوا مقالتي واشهدوا لي بها عند ربكم. وقيل معناه فاسمعوا يا قومي إيماني برسل الله جهرة، فعند ذلك قتلوه. قيل: رجمًا، وقيل: عضًا، وقيل: وثبوا إليه وثبة رجل واحد فقتلوه.

وحكى ابن إسحاق عن بعض أصحابه، عن ابن مسعود قال: وطئوه بأرجلهم حتى أخرجوا قصبته من دبره.

وقد روى الثوري، عن عاصم الأحول، عن أبي مجلز: كان اسم هذا الرجل حبيب بن مري، ثم قيل: كان نجارًا، وقيل: حبالًا، وقيل: إسكافيًا، وقيل: قصارًا، وقيل: كان يتعبد في غار هناك، فالله أعلم.

وعن ابن عباس كان حبيب النجار قد أسرع فيه الجذام، وكان كثير الصدقة قتله قومه. ولهذا قال تعالى: { ادْخُلِ الْجَنَّةَ } يعني لما قتله قومه أدخله الله الجنة، فلما رأى فيها من النضرة والسرور قال: {قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ} يعني ليؤمنوا بما آمنت به فيحصل لهم ما حصل لي.

قال ابن عباس: نصح قومه في حياته { يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ } وبعد مماته { قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ } رواه ابن أبي حاتم، وكذلك قال قتادة: لا يلقى المؤمن إلا ناصحًا، لا يلقى غاشًا لما عاين ما عاين من كرامة الله.{ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين } تمنى والله أن يعلم قومه بما عاين من كرامة الله، وما هو عليه. قال قتادة: فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله. { إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ }. وقوله تعالى: { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ } أي: ما احتجنا في الانتقام منهم إلى إنزال جند من السماء عليهم. هذا معنى ما رواه ابن إسحاق عن بعض أصحابه، عن ابن مسعود. قال مجاهد

وقتادة: وما أنزل عليهم جندًا أي: رسالة أخرى. قال ابن جرير: والأول أولى. قلت: وأقوى ولهذا قال: { وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ } أي: وما كنا نحتاج في الانتقام إلى هذا، حين كذبوا رسلنا وقتلوا ولينا. { إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ }

قال المفسرون: بعث الله إليهم جبريل عليه السلام، فأخذ بعضادتي الباب الذي لبلدهم ثم صاح بهم صيحة واحدة، فإذا هم خامدون أي: قد أخمدت أصواتهم، وسكنت حركاتهم، ولم يبق منهم عين تطرف.وهذا كله مما يدل على أن هذه القرية ليست أنطاكية، لأن هؤلاء أهلكوا بتكذيبهم رسل الله إليهم، وأهل أنطاكية آمنوا واتبعوا رسل المسيح من الحواريين إليهم، فلهذا قيل إن أنطاكية أول مدينة آمنت بالمسيح. فأما الحديث الذي رواه الطبراني من حديث حسين الأشقري، عن سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن النبي قال:« السبق ثلاثة: فالسابق إلى موسى: يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى: صاحب يس، والسابق إلى محمد: علي بن أبي طالب }.فإنه حديث لا يثبت؛ لأن حسينًا هذا متروك، وشيعي من الغلاة، وتفرده بهذا مما يدل على ضعفه بالكلية، والله أعلم

قصة مؤمن آل فرعون-:

"وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ"(٢٨).

هنا انتدب رجل من آل فرعون ، وقع الحق في قلبه , ولكنه كتم إيمانه . انتدب يدفع عن موسى ، ويحتال لدفع القوم عنه ، ويسلك في خطابه لفرعون وملئه مسالك شتى ، ويتدسس إلى قلوبهم بالنصيحة ويثير حساسيتها بالتخويف والإقناع :وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه: أتقتلون رجلاً أن يقول: ربي الله ، وقدجاءكم بالبينات من ربكم ؟ وإن يك كاذباً فعليه كذبه ،وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم , إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب . يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض , فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا ؟ قال فرعون:ما أريكم إلا ما أرى ، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد . وقال الذي آمن:يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب . مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم، وما الله يريد ظلماً للعباد . ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد . يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ، ومن يضلل الله فما له من هاد . ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات

؛ فما زلتم في شك مما جاءكم به, حتى إذا هلك قلتم:لن يبعث الله من بعده رسولاً . كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب .الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتاًعند الله وعند الذين آمنوا ,كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار . .إنها جولة ضخمة هذه التي جالها الرجل المؤمن مع المتآمرين من فرعون وملئه . وإنه منطقالفطرة المؤمنة في حذر ومهارة وقوة كذلك .إنه يبدأ بتفظيع ما هم مقدمون عليه [أتقتلون رجلاً أن يقول:ربي الله] فهل هذه الكلمة البريئة المتعلقة باعتقاد قلب ، واقتناع نفس ، تستحق القتل ، ويرد عليها بإزهاق روح؟ إنها في هذه الصورة فعلة منكرة بشعة ظاهرة القبح والبشاعة. ثم يخطو بهم خطوة أخرى . فالذي يقول هذه الكلمة البريئة: ربي الله . . يقولها ومعه حجته ، وفي يده برهانه[وقد جاءكم بالبينات من ربكم] . يشير إلى تلك الآيات التي عرضها موسى – عليه السلام – ورأوها ، وهم - فيما بينهم وبعيداً عن الجماهير— يصعب أن يماروا فيها! ثم يفرض لهم أسوأ الفروض ؛ ويقف معهم موقف المنصف أمام القضية ؛ تمشياً مع أقصى فرض يمكن أن يتخذوه [وإن يك كاذباً فعليه كذبه] . وهويحمل تبعة عمله , ويلقى جزاءه , ويحتمل جريرته . وليس هذا بمسوغ لهم أن يقتلوه على أية حال! وهناكالاحتمال الآخر ، وهو أن يكون صادقاً . فيحسن الاحتياط لهذا الاحتمال, وعدم

التعرض لنتائجه [وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم] وإصابتهم ببعض الذي يعدهم هوكذلك أقل احتمال في القضية ، فهو لا يطلب إليهم أكثر منه . وهذا منتهى الإنصاف في الجدل والإفحام. ثم يهددهم من طرف خفي ، وهو يقول كلاماً ينطبق على موسى كما ينطبق عليهم [إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب] فإذا كان موسى فإن الله لا يهديه ولا يوفقه, فدعوه له يلاقي منه جزاءه . واحذروا أن تكونوا أنتم الذين تكذبون على موسى وربه وتسرفون , فيصيبكم هذا المآل!

يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) وَقَالَ الَّذِي آَمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (٣١) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣)

وحين يصل بهم إلى فعل الله بمن هو مسرف كذاب ، يهجم عليهم مخوفاً بعقاب الله ، محذراً من بأسه الذي لا ينجيهم منه ما هم فيه من ملك وسلطان ، مذكراً إياهم بهذه النعمة التي تستحق الشكران لا الكفران:

(يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض . فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا ؟). .

إن الرجل يشعر بما يشعر به القلب المؤمن ، من أن بأس الله أقرب ما يكون لأصحاب الملك والسلطان في الأرض؛ فهم أحق الناس بأن يحذروه ، وأجدر الناس بأن يحسوه ويتقوه ، وأن يبيتوا منه على وجل ، فهو يتربص بهم في كل لحظة من لحظات الليل والنهار . ومن ثم يذكرهم بما هم فيه من الملك والسلطان ، وهو يشير إلى هذا المعنى المستقر في حسه البصير . ثم يجمل نفسه فيهم وهو يذكرهم ببأس الله: (فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا ؟) ليشعرهم أن أمرهم يهمه ، فهو واحد منهم ، ينتظر مصيره معهم ؛ وهو إذن ناصح لهم مشفق عليهم ، لعل هذا أن يجعلهم ينظرون إلى تحذيره باهتمام ، ويأخذونه مأخذ البراءة والإخلاص . وهو يحاول أن يشعرهم أن بأس الله إن جاء فلا ناصر منه ولا مجير عليه ، وأنهم إزاءه ضعاف ضعاف .

هنا يأخذ فرعون ما يأخذ كل طاغية توجه إليه النصيحة . تأخذه العزة بالإثم . ويرى في النصح الخالص افتياتاً على سلطانه ، ونقصاً من نفوذه ، ومشاركة له في النفوذ والسلطان:

(قال فرعون:ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد).إنني لا أقول لكم إلا ما أراه صواباً ، وأعتقده نافعاً . وإنه

لهو الصواب والرشد بلا شك ولا جدال ! وهل يرى الطغاة إلا الرشد والخير والصواب ؟! وهل يسمحون بأن يظن أحد أنهم قد يخطئون ؟! وهل يجوز لأحد أن يرى إلى جوار رأيهم رأياً ؟! وإلا فلم كانوا طغاة ؟!

ولكن الرجل المؤمن يجد من إيمانه غير هذا ؛ ويجد أن عليه واجباً أن يحذر وينصح ويبدي من الرأي ما يراه . ويرى من الواجب عليه أن يقف إلى جوار الحق الذي يعتقده كائناً ما كان رأي الطغاة . ثم هو يطرق قلوبهم بإيقاع آخر لعلها تحس وتستيقظ وترتعش وتلين . يطرق قلوبهم بلفتها على مصارع الأحزاب قبلهم . وهي شاهدة ببأس الله في أخذ المكذبين والطغاة: (وقال الذي آمن:يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب . مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم . وما الله يريد ظلماً للعباد). ولكل حزب كان يوم . ولكن الرجل المؤمن يجمعها في يوم واحد: (مثل يوم الأحزاب)فهو اليوم الذي يتجلى فيه بأس الله . وهو يوم واحد في طبيعته على تفرق الأحزاب . . (وما الله يريد ظلماً للعباد)إنما يأخذهم بذنوبهم ، ويصلح من حولهم ومن بعدهم بأخذهم بأيام الله .

ثم يطرق على قلوبهم طرقة أخرى ، وهو يذكرهم بيوم آخر من أيام الله . يوم القيامة . يوم التنادي: (ويا قوم إني أخاف عليكم يوم

التناد . يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم . ومن يضلل الله فما له من هاد). .

وفي ذلك اليوم ينادي الملائكة الذين يحشرون الناس للموقف . وينادي أصحاب الأعراف على أصحاب الجنة وأصحاب النار . وينادي أصحاب الجنة أصحاب النار ، وأصحاب النار أصحاب الجنة . . فالتنادي واقع في صور شتى . وتسميته (يوم التناد)تلقي عليه ظل التصايح وتناوح الأصوات من هنا ومن هناك ، وتصور يوم زحام وخصام . وتتفق كذلك مع قول الرجل المؤمن: (يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم). . وقد يكون ذلك فرارهم عند هول جهنم ، أو محاولتهم الفرار . ولا عاصم يومئذ ولات حين فرار . وصورة الفزع والفرار هي أولى الصور هنا للمستكبرين المتجبرين في الأرض ، أصحاب الجاه والسلطان ! (ومن يضلل الله فما له من هاد). . ولعل فيها إشارة خفية إلى قولة فرعون: (وما أهديكم إلا سبيل الرشاد). . وتلميحاً بأن الهدى هدى الله . وأن من أضله الله فلا هادي له . والله يعلم من حال الناس وحقيقتهم من يستحق الهدى ومن يستحق الضلال .

قصة أصحاب الأخدود

قال الله تعالى: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ إلى .... إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ } [البروج: ١-١٠] .

قد تكلمنا على ذلك مستقصى في تفسير هذه السورة ولله الحمد. وقد زعم محمد بن إسحاق أنهم كانوا بعد مبعث المسيح، وخالفه غيره فزعموا أنهم كانوا قبله.وقد ذكر غير واحد أن هذا الصنيع مكرر في العالم مرارا في حق المؤمنين من الجبارين الكافرين، ولكن هؤلاء المذكورون في القرآن قد ورد فيهم حديث مرفوع، وأثر أورده ابن إسحاق، وهما متعارضان وها نحن نوردهما لتقف عليهما.

قال الإمام أحمد: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب أن رسول الله قال:« كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر، فلما كبر الساحر قال للملك: إني قد كبرت سني وحضر أجلي فادفع إلي غلاما فلأعلمه السحر، فدفع إليه غلاما فكان يعلمه السحر، وكان بين الملك وبين الساحر راهب، فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه، فأعجبه نحوه وكلامه وكان إذا أتى الساحر ضربه، وقال ما حبسك؟ وإذا أتى

أهله ضربوه، وقالوا: ما حبسك؟ فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا أراد الساحر أن يضربك فقل حبسني أهلي، وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل حبسني الساحر. قال: فبينا هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا، فقال: اليوم أعلم أمر الساحر أحب إلى الله أم أمر الراهب. قال: فأخذ حجرا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر، فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس، ورماها فقتلها، ومضى الناس فأخبر الراهب بذلك. فقال: أي بني أنت أفضل مني، وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل عليَّ، فكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص وسائر الأدواء، ويشفيهم الله على يديه، وكان جليس للملك فعمى فسمع به فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: اشفني ولك ما ههنا اجمع فقال: ما أنا اشفي أحدا، إنما يشفي الله عز وجل، فإن آمنت به ودعوت الله شفاك، فآمن فدعا الله فشفاه. ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس، فقال له الملك: يا فلان من ردَّ عليك بصرك ؟ فقال: ربي. قال: أنا. قال: لا ربي، وربك الله. قال: ولك رب غيري؟ قال: نعم، ربي وربك الله، فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الغلام، فبعث إليه فأتي به، فقال: أي بني بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص، وهذه الأدواء. قال: ما أشفي أنا أحدا إنما يشفي الله عز وجل. قال: أنا. قال: لا. قال: أولك رب غيري؟

قال: ربي وربك الله. قال: فأخذه أيضا بالعذاب، ولم يزل به حتى دلَّ على الراهب. فأتى الراهب فقال: ارجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه. وقال للأعمى: ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه. وقال للغلام: ارجع عن دينك فأبى، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا. وقال: إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه، وإلا فدهدهوه من فوقه. فذهبوا به، فلما علوا الجبل قال: اللهم أكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل، فدهدهوا أجمعون، وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله. فبعث به مع نفر في قرقرة فقال: إذا لججتم البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فأغرقوه في البحر، فلججوا به البحر فقال الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا أجمعون. وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال كفانيهم الله عزَّ وجلَّ.ثم قال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، فإن أنت فعلت ما آمرك به قتلتني، وإلا فإنك لا تستطيع قتلي. قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، ثم تصلبن على جذع، وتأخذ سهما من كنانتي، ثم قل: بسم الله رب الغلام، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، ففعل ووضع السهم في كبد القوس، ثم رماه، وقال بسم الله رب الغلام، فوقع السهم في صدغه، فوضع الغلام

يده على موضع السهم ومات. فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فقيل للملك: أرأيت ما كنت تحذر فقد والله نزل بك، قد آمن الناس كلهم، فأمر بأفواه السكك فحفر فيها الأخاديد، وأضرمت فيها النيران، وقال: من رجع عن دينه فدعوه، وإلا فأقحموه فيها. وقال: فكانوا يتعادون فيها ويتواقعون، فجاءت امرأة بابن لها ترضعه، فكأنها تقاعست أن تقع في النار، فقال الصبي: اصبري يا أماه فإنك على الحق ».

كذا رواه الإمام أحمد، ورواه مسلم والنسائي، من حديث حماد بن سلمة، زاد النسائي وحماد بن زيد كلاهما عن ثابت به. ورواه الترمذي من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن ثابت بإسناده نحوه، وجرد إيراده كما بسطنا ذلك في التفسير. وقد أورد محمد بن إسحاق هذه القصة على وجه آخر فقال: حدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب، وحدثني أيضا بعض أهل نجران، عن أهلها أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان، وكان في قرية من قراها قريبا من نجران – ونجران هي القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد – ساحر يُعلم غلمان أهل نجران السحر، فلما نزلها قيمون، ولم يسموه لي بالاسم الذي سماه ابن منبه. قالوا: رجل نزلها، فابتنى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحر، وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم

السحر، فبعث التامر ابنه عبد الله بن التامر مع غلمان أهل نجران، فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من عبادته وصلاته، فجعل يجلس إليه ويسمع منه، حتى أسلم، فوحد الله وعبده، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام، حتى إذا فقه فيه، جعل يسأله عن الاسم الأعظم وكان يعلمه فكتمه إياه. وقال له: يا ابن أخي إنك لن تحمله، أخشى ضعفك عنه، والتامر لا يظن إلا أن ابنه عبد الله يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان، فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه وتخوف ضعفه فيه، عمد إلى قداح فجمعها، ثم لم يبق لله اسما يعلمه إلا كتبه في قدح، لكل اسم قدح، حتى إذا أحصاها أوقد نارا، ثم جعل يقذفها فيها قدحا قدحا، حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقدحه، فوثب القدح حتى خرج منها لم تضره شيئا. فأخذه ثم أتى به صاحبه، فأخبره أنه قد علم الاسم الأعظم الذي قد كتمه إياه فقال: وما هو؟ قال: كذا وكذا. قال: وكيف علمته؟ فأخبره بما صنع. قال: أي ابن أخي قد أصبته، فأمسك على نفسك، وما أظن أن تفعل. فجعل عبد الله بن التامر إذا دخل نجران لم يلق أحدا به ضر إلا قال: يا عبد الله أتوحد الله وتدخل في ديني، وأدعو الله لك فيعافيك عما أنت فيه من البلاء، فيقول: نعم، فيوحد الله و يسلم، حتى لم يبق أحد في نجران به ضر إلا أتاه فاتبعه على دينه، ودعا له

فعوفي. حتى رفع شأنه إلى ملك نجران، فدعاه فقال: أفسدت علي أهل قريتي، وخالفت ديني ودين آبائي، لأمثلن بك، قال: لا تقدر على ذلك، فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل، فيطرح على رأسه، فيقع إلى الأرض ما به بأس، وجعل يبعث به إلى مياه بنجران بحور، لا يلقى فيها شيء إلا هلك فيلقى به فيها، فيخرج ليس به بأس. فلما غلبه قال له عبد الله بن التامر: والله لا تقدر على قتلي حتى توحد الله فتؤمن بما آمنت به، فإنك إن فعلت سلطت علي فقتلتني، قال: فوحد الله ذلك الملك، وشهد شهادة عبد الله بن التامر، ثم ضربه بعصا في يده فشجه شجة غير كبيرة فقتله، وهلك الملك مكانه.

واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن التامر، وكان على ما جاء به عيسى بن مريم من الإنجيل وحكمه، ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحزاب، فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران.

قال ابن إسحاق: فهذا حديث محمد بن كعب، وبعض أهل نجران عن عبد الله بن التامر، فالله أعلم أي ذلك كان. قال: فسار إليهم ذو نواس بجنده من حمير فدعاهم إلى اليهودية، وخيرهم بين ذلك أو القتل، فاختاروا القتل فخدوا الأخدود، وحرق بالنار وقتل بالسيف

ومثل بهم، فقتل منهم قريبا من عشرين ألفا، ففي ذي نواس وجنده أنزل الله على رسوله: { قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ... } الآيات [البروج: ٤-٥] .

وهذا يقتضي أن هذه القصة غير ما وقع في سياق مسلم، وقد زعم بعضهم أن الأخدود وقع في العالم كثيرا، كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو اليمان، أنبأنا صفوان، عن عبد الرحمن بن جبير قال: كانت الأخدود في اليمن زمان تبع، وفي القسطنطينة زمان قسطنطين، حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد، واتخذ أتونا، وألقي فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد.

وفي العراق في أرض بابل في زمان بخت نصر حين صنع الصنم، وأمر الناس فسجدوا له، فامتنع دانيال وصاحباه: عزريا ومشايل، فأوقد لهم أتونا وألقى فيها الحطب والنار، ثم ألقاهما فيه، فجعلها الله عليهم بردا وسلاما وأنقذهم منها، وألقى فيها الذين بغوا عليه وهم تسعة رهط، فأكلتهم النار. وقال أسباط عن السدي في قوله: { قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ } قال: كان الأخدود ثلاثة: خد بالشام، وخد بالعراق، وخد باليمن. رواه ابن أبي حاتم. وقد

استقصيت ذكر أصحاب الأخدود، والكلام على تفسيرها في سورة البروج، ولله الحمد والمنة

بيان طلب ذي القرنين عين الحياة

وقد ذكر ابن عساكر من طريق وكيع، عن أبيه، عن معتمر بن سليمان، عن أبي جعفر الباقر، عن أبيه زين العابدين خبرا مطولا جدا فيه: أن ذا القرنين كان له صاحب من الملائكة يقال له رناقيل، فسأله ذو القرنين هل تعلم في الأرض عينا يقال لها عين الحياة؟ فذكر له صفة مكانها، فذهب ذو القرنين في طلبها، وجعل الخضر على مقدمته، فانتهى الخضر إليها في واد في أرض الظلمات، فشرب منها ولم يهتد ذو القرنين إليها.

وذكر اجتماع ذي القرنين ببعض الملائكة في قصر هناك، وأنه أعطاه حجرا، فلما رجع إلى جيشه سأل العلماء عنه، فوضعوه في كفة ميزان وجعلوا في مقابلته ألف حجر مثله فوزنها، حتى سأل الخضر فوضع قباله حجرا وجعل عليه حفنة من تراب فرجح به.

وقال: هذا مثل ابن آدم لا يشبع حتى يوارى بالتراب، فسجد له العلماء تكريما له وإعظاما، والله أعلم.

ثم ذكر تعالى أنه حكم في أهل تلك الناحية: { قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنا * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ

فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابا نُكْرا } [الكهف: ٨٦- ٨٧] أي: فيجتمع عليه عذاب الدنيا والآخرة، وبدأ بعذاب الدنيا لأنه أزجر عند الكافر.{ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرا } [الكهف: ٨٩] فبدأ بالأهم وهو ثواب الآخرة، وعطف عليه الإحسان منه إليه، وهذا هو العدل والعلم والإيمان. قال الله تعالى: { ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبا } أي: سلك طريقا راجعا من المغرب إلى المشرق، فيقال: إنه رجع في ثنتي عشر سنة { حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرا } أي: ليس لهم بيوت ولا أكنان يسترون بها من حر الشمس، قال كثير من العلماء: ولكن كانوا يأوون إذا اشتد عليهم الحر إلى أسراب قد اتخذوها في الأرض شبه القبور. قال الله تعالى: { كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرا } أي: ونحن نعلم ما هو عليه ونحفظه ونكلؤه بحراستنا في مسيره ذلك كله من مغارب الأرض إلى مشارقها.

وقد روي عن عبيد بن عمير، وابنه عبد الله، وغيرهما من السلف: أن ذا القرنين حج ماشيا، فلما سمع إبراهيم الخليل بقدومه تلقاه، فلما اجتمعا دعا له الخليل ووصاه بوصايا، ويقال: إنه جيء بفرس ليركبها فقال: لا أركب في بلد فيه الخليل، فسخر الله له السحاب وبشره إبراهيم بذلك، فكانت تحمله إذا أراد.

وقوله تعالى: { ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْما لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلا } [الكهف: ٩٢-٩٣] يعني غشما. يقال: إنهم هم الترك أبناء عم يأجوج ومأجوج. فذكروا له أن هاتين القبيلتين قد تعدوا عليهم وأفسدوا في بلادهم، وقطعوا السبل عليهم، وبذلوا له حملا وهو الخراج، على أن يقيم بينهم وبينهم حاجزا يمنعهم من الوصول إليهم، فامتنع من أخذ الخراج اكتفاء بما أعطاه الله من الأموال الجزيلة. { قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ } ثم طلب منهم أن يجمعوا له رجالا وآلات ليبني بينهم وبينهم سدا، وهو الردم بين الجبلين وكانوا لا يستطيعون الخروج إليهم إلا من بينهما، وبقية ذلك بحار مغرقة وجبال شاهقة، فبناه كما قال تعالى من الحديد والقطر وهو النحاس المذاب، وقيل: الرصاص. والصحيح: الأول.

فجعل بدل اللبن حديدا، وبدل الطين نحاسا، ولهذا قال تعالى: {فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ } أي: يعلوا عليه بسلالم ولا غيرها {وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبا } أي: بمعاول ولا فؤوس ولا غيرها. فقابل الأسهل بالأسهل والأشد بالأشد.{ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي } أي: قدر الله وجوده ليكون رحمة منه بعباده أن يمنع بسببه عدوان هؤلاء القوم على من جاورهم في تلك المحلة.{ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي} أي: الوقت الذي قدر خروجهم على الناس في آخر الزمان {جَعَلَهُ

دَكَّاءَ} أي: مساويا للأرض ولا بد من كون هذا. ولهذا قال: {وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّا }كما قال تعالى: { حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ... } الآية [الأنبياء: ٩٦-٩٧] .

ولهذا قال ههنا: { وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ } يعني: يوم فتح السد على الصحيح.{ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعا}وقد أوردنا الأحاديث المروية في خروج يأجوج ومأجوج في التفسير، وسنوردها إن شاء الله في كتاب الفتن والملاحم من كتابنا هذا إذا انتهينا إليه، بحول الله وقوته وحسن توفيقه ومعونته وهدايته. قال أبو داود الطيالسي، عن الثوري: بلغنا أن أول من صافح ذو القرنين، وروي عن كعب الأحبار أنه قال لمعاوية: إن ذا القرنين لما حضرته الوفاة أوصى أمه إذا هو مات أن تصنع طعاما وتجمع نساء أهل المدينة، وتضعه بين أيديهن، وتأذن لهن فيه إلا من كانت ثكلى فلا تأكل منه شيئا، فلما فعلت ذلك لم تضع واحدة منهن يدها فيه، فقالت لهن: سبحان الله كلكن ثكلى؟ فقلن: إي والله، ما منا إلا من أثكلت، فكان ذلك تسلية لأمه. وذكر إسحاق بن بشر، عن عبد الله بن زياد، عن بعض أهل الكتاب وصية ذي القرنين وموعظة أمه موعظة بليغة طويلة فيها حكم وأمور نافعة، وأنه مات وعمره ثلاثة آلاف سنة، وهذا غريب. قال ابن عساكر:

وبلغني من وجه آخر أنه عاش ستا وثلاثين سنة. وقيل: كان عمره ثنتين وثلاثين سنة، وكان بعد داود بسبعمائة سنة وأربعين سنة، وكان بعد آدم بخمسة آلاف ومائة وإحدى وثمانين سنة، وكان ملكه ست عشرة سنة.

وهذا الذي ذكره إنما ينطبق على إسكندر الثاني لا الأول، وقد خلط في أول الترجمة وآخرها بينهما، والصواب التفرقة كما ذكرنا اقتداء بجماعة من الحفاظ، والله أعلم.وممن جعلهما واحدا الإمام عبد الملك بن هشام راوي السيرة، وقد أنكر ذلك عليه الحافظ أبو القاسم السهيلي رحمه الله إنكارا بليغا، ورد قوله ردا شنيعا، وفرق بينهما تفريقا جيدا كما قدمنا قال: ولعل جماعة من الملوك المتقدمين تسموا بذي القرنين تشبها بالأول، والله أعلم.

سورة عبس

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى) عبس وتولى أن جاءه الأعمى . (وهو ابن أم مكتوم، وذلك أنه أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو يناجي عتبة بن ربيعة ، وأبا جهل بن هشام ، وعباس بن عبد المطلب ، وأبيا ، وأمية ابني خلف ، ويدعوهم إلى الله تعالى ويرجو إسلامهم ، فقام ابن أم مكتوم وقال : يا رسول الله ، علمني ، مما علمك الله ; وجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدري أنه مشتغل مقبل على غيره، حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لقطعه كلامه ، وقال في نفسه " : يقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان والسفلة والعبيد " ، فعبس رسول الله – صلى الله عليه وسلم - وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم ، فأنزل الله تعالى هذه الآيات ، فكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد ذلك – يكرمه ، وإذا رآه يقول " : مرحبا بمن عاتبني فيه ربي "

- ٨٤٥ .أخبرنا محمد بن عبد الرحمن المصاحفي ، أخبرنا أبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان أخبرنا أبو يعلى ، حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد ، حدثنا أبي قال : هذا ما قرأنا على هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : أنزلت) عبس وتولى (في ابن أم مكتوم الأعمى ، أتى إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فجعل

يقول : يا رسول الله أرشدني ، وعند رسول الله رجال من عظماء المشركين ، فجعل النبي – صلى الله عليه وسلم – يعرض عنه ويقبل على الآخرين ، ففي هذا أنزلت) عبس وتولى (رواه الحاكم في صحيحه عن علي بن عيسى الحيري ، عن العتابي ، عن سعد بن يحيى.

صهيب الرومي

)رَبحَ البيعُ يا أبا يحيى .. رَبحَ البيعُ(

صهيب الرومي

ومن منا معشر المسلمين لا يعرف صهيباً الرومي ولا يلم بطرف من أخباره ونُتف من سيرته.؟؟!

ولكن الذي لا يعرفه الكثير منا هو أن صهيباً لم يكن روميّاً وإنما كان عربيّاً خالصاً . نمري الأب وتميمي الأم.

ولانتساب صهيب إلى الروم قصة ماتزال تعيها ذاكرة التاريخ وترويها أسفاره فقبل البعثة بحوالي عقدين من الزمان كان يتولى الأبُلَّة) وهي مدينة قديمة دخلت في البصرة (سنان بن مالك النمري من قبل كسرى ملك الفرس.

وكان أحب أولاده إليه طفل لم يتجاوز الخامسة من عمره دعاه صهيباً كان صهيب أزهر الوجه أحمر الشعر متدفق النشاط ذا عينين تتَّقدان فطنة ونجابة ..وكان إلى ذلك ممراحا عذب الروح يدخل السرور إلى قلب أبيه وينتزع منه هموم الملك انتزاعاً مضت أم صهيب مع ابنها الصغير وطائفة من حشمها وخدمها إلى قرية الثَّنيِّ من أرض العراق طلباً للراحة والاستجمام.

فأغارت على القرية سريّة من سرايا جيش الروم فقتلت حراسها ونهبت أموالها وأسرت ذراريها . فكان في جملة من أسرتهم صهيباً.

بيع صهيب في أسواق الرقيق ببلاد الروم وجعلت تتداوله الأيدي فينتقل من خدمة سيد إلى خدمة آخر ,شأنه في ذلك كشأن الآلآف المؤلفة من الأرقاء الذين كانوا يملأون قصور بلاد الروم.

وقد أتاح ذلك لصهيب أن ينفُذ إلى اعماق المجتمع الرومي وأن يقف عليه من داخله فرأى بعينه مايعشعش في قصوره من الرذائل والموبقات وسمع بأذنيه مايرتكب فيها من المظالم والمآثم فكره ذلك المجتمع وازدراه وكان يقول في نفسه : إن مجتمعاً كهذا لا يطهره إلا الطوفان وعلى الرغم من أن صهيباً قد نشأ في بلاد الروم وشبَّ على أرضها وبين أهلها وعلى الرغم من أنه نسي العروبة أو كاد ينساها فإنه لم يغب عن باله قط أنه عربي من أبناء الصحراء..ولم تفتر أشواقه لحظة إلى اليوم الذي يتحرر فيه من عبوديته ويلحق ببني قومه .وقد زاده حنيناً إلى بلاد العرب فوق حنينه ,أنه سمع كاهناً من كهنة النصارى يقول لسيد من أسياده:

لقد أطل زمان يخرج فيه من مكة في جزيرة العرب نبي يصدق رسالة عيسى بن مريم ويخرج الناس من الظلمات إلى النور.

ثم أتيحت الفرصة لصهيب فولى هارباً من رق أسياده ويمم وجهه شطر مكة أم القرى وموئل العرب ومبعث النبي المرتقب.

ولما ألقى عصاه فيها) أي نزل فيها واستقر (أطلق الناس عليه اسم صهيب الرومي للكنة لسانه وحمرة شعره. وقد حالف صهيب سيداُ

من سادات مكة هو عبدالله بن جدعان وطفق يعمل في التجارة فدرت عليه الخير الوفير والمال الكثير.

غير أن صهيباً لم تنسه تجارته ومكاسبه حديث الكاهن النصراني فكام كلما مر كلامه بخاطره يُسائل نفسه في لهفة :متى يكون ذلك ؟ !وما هو إلا قليل حتى جاءه الجواب .ففي ذات يوم عاد صهيب إلى مكة من إحدى رحلاته فقيل له إن محمد بن عبدالله قد بعث وقام يدعو الناس إلى الايمان بالله وحده ويحضهم على العدل والإحسان وينهاهم عن الفحشاء والمنكر فقال :أليس هو الذي يلقبونه بالأمين؟ !فقيل له :بلى. فقال:وأين مكانه؟ فقيل له :في دار الأرقم بن أبي الأرقم عند الصفا ولكن حذار من أن يراك أحدٌ من قريش فإن رأوك فعلوا بك ..وفعلوا,وأنت رجل غريب لا عصبية لك تحميك ولا عشيرة عندك تنصرك مضى صهيب إلى دار الارقم حذِراً يتلفت فلما بلغها وجد عند الباب عمَّار بن ياسر وكان يعرفه من قبل فتردد لحظة ثم دنا منه وقال :ما تريد ياعمَّار؟ فقال عمار :بل ما تريد أنت؟ فقال صهيب :أردت أن أدخل على هذا الرجل فأسمع منه ما يقول .فقال عمار :وأنا أريد ذلك. فقال صهيب :إذن ندخل معاً على بركة الله .دخل صهيب بن سنان الرومي وعمار بن ياسر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وستمعا إل مايقول فأشرق ور الأيمان في صدريهما وتسابقا في مد

أيديهما إليه ,وشهدا أن لاإله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأمضيا سحابه يومهما عنده ينهلان من هديه وينعمان بصحبته.

ولما أقبل الليل وهدأت الحركه خرجا من عنده تحت جنح الظلام وقد حمل كل منهما من النور في صدره مايكفي لإضاءة الدنيا بأسرها.تحمل صهيب نصيبه من أذى قريش مع بلال وعمار وسميَّة وخباب وغيرهم من عشرات المؤمنين وقاسى من نكال قريش ما لو نزل بجبل لهده فتلقى ذلك لكله بنفس مطمئنة صابرة لأنه كان يعلم أن طريق الجنة محفوف بالمكاره ولما أذن الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالهجرة إلى المدينة عزم صهيب على أن يمضي في صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر.

لكن قريش شعرت بعزمه على الهجرة فصدَّته عن غايته واقامت عليه الرقباء حتى لا يفلت من أيديهم ويحمل معه مادرَّته عليه التجارة من فضة وذهب.

ظل صهيب بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه يتحين الفرص للحاق بهما فلم يفلح إذ كانت أعين الرقباء ساهرة عليه متيقظة له فلم يجد سبيلاً..غير اللجوء إلى الحيلة

ففي ذات ليلة باردة أكثر صهيب من الخروج إلى الخلاء كأنه يقضي الحاجة فكان لا يرجع من قضاء حاجته حتى يعود إليها.

فقال بعض رقباءه لبعض :طيبوا نفساً فإن اللات والعزى شغلاه ببطنه.ثم أووا إلى مضاجعهم وأسلموا عيونهم إلى الكرى . فتسلل صهيب من بينهم ويمم وجهه شطر المدينة لم يمض غير قليل على رحيل صهيب حتى فطن له رقباؤه فهبوا من نومهم مذعورين وامتطوا خيولهم السوابق وأطلقوا أعنتها خلفه حتى أدركوه فلما أحس بهم وقف على مكانٍ عالٍ وأخرج سهامه من كنانته ووتر قوسه وقال : يا معشر قريش لقد علمتم والله أني من أرمى الناس وأحكمهم إصابة .. ووالله لا تصلون إلىَّ حتى أقتل بكل سهم معي رجلاً منكم ثم أضربكم بسيفي مابقي في يدي شيء منه .فقال قائل منهم :والله لا ندعك تفوز منا بنفسك وبمالك ..لقد أتيت مكة صعلوكاً فقيراً فاغتنيت وبلغت مابلغت. فقال صهيب :أرأيتم إن تركت لكم مالي , أتخلون سبيلي؟؟قالوا :نعم فدلهم على موضع ماله في بيته في مكة فمضوا إليه وأخذوه منه ثم أطلقوا سراحه .أخذ صهيب يُغِذُّ السير نحو المدينة فاراً بدينه إلى الله غير آسف على المال الذي أنفق في جَنيْهِ زهرة العمر..

وكان كلما أدركه الونى وأصابه التعب استفزه الشوق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعود إليه نشاطه ويواصل سيره .فلما بلغ)قباء (رآه الرسول صلوات الله وسلامه عليه مقبلاً فهشَّ له وبشَّ وقال (:رَبحَ البيعُ يا أبا يحيى .. رَبحَ البيعُ وكررها ثلاثاً(

فعلت الفرحة وجه صهيب وقال :والله ماسبقني إليك أحد ٌ يارسول الله.. وما أخبرك به إلا جبريل حقاً لقد ربح البيع وصدَّق ذلك وحي السماء وشهد عليه جبريل .. حيث نزل في صهيب قول الله عز وجل (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ)

فطوبى لصهيب بن سنان الرومي وحسن مآب.

النعمان بن مقرن المزني

إن للإيمان بيوتاً، وللنفاق بيوتاً،
وإن بيت بني مقرن من بيوت الإيمان"
"عبد الله بن مسعود"

كانت قبيلةُ مُزَيْنَةَ تتخذُ منازِلَها قريباً من يَثْرِبَ على الطريقِ الممْتَدَّةِ بين المدينةِ ومكَّةَ.

وكان الرسولُ صلواتُ اللّهِ وسلامُه عليه قد هاجَر إلى المدينةِ، وجَعَلَتْ أخبارُه تَصِلُ تِبَاعاً إلى مُزَيْنَةَ معَ الغادِينَ والرائِحينَ، فلا تَسْمَعُ عنه إلاَّ خَيْراً .وفي ذاتِ عَشِيَّةٍ ، جَلَسَ سَيِّدُ القومِ، النعمانُ بنُ مقرِّنٍ المزنيُّ، في ناديه مع إِخْوَتِهِ ومَشْيَخَةِ قبيلتهِ فقال لهم :يا قوم واللّهِ ما عَلِمْنا عن محمدٍ إلاَّ خيراً، ولا سَمِعْنَا من دَعْوَتِهِ إلاَّ مَرْحَمَةً وإِحْساناً وعَدْلاً، فما بالُنا نُبْطِئُ عنه، والناسُ إليه يُسْرِعون؟ !ثم أتبعَ يقول :أما أنا فقد عَزَمْتُ على أن أغدُوَ عليه إِذا أصْبَحْتُ، فمَنْ شاءَ منكم أنْ يكونَ مَعي فَلْيَتَجَهَّزْ.

وكأنَّمَا مَسَّتْ كلماتُ النُّعْمَانِ وَتَراً مُرْهَفاً في نفوسِ القوم، فما إِنْ طَلَعَ الصباحُ حَتَّى وَجَدَ إِخْوَتَهُ العشرةَ، وأربَعَ مِائَةِ فارس من فرسانِ مُزَيْنَةَ قد جَهَّزوا أنفُسَهُمْ لِلْمُضِيِّ مَعَه إِلى يَثْرِبَ لِلِقَاءِ النبيِّ صلواتُ اللّه وسلامُه عليه، والدُّخول في دينَ اللّهِ.

بَيْدَ أن النُّعْمَانَ اسْتَحَى أن يَفِدَ مع هذا الجمع الحاشِدِ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم دونَ أن يَحْمِلَ له وللمسلمين شيئاً في يَدِه.

لكنَّ السَّنةَ الشَّهْبَاءَ المِجْدِبَةَ التي مَرَّتْ بِها مُزَيْنَةُ لم تَتْرُكْ لها ضرْعاً وَلا زَرْعاً .فطافَ النُّعْمَانُ بِبَيْتِهِ وَبُيُوتِ إِخْوَتِهِ، وجَمَعَ كُلَّ ما أبْقَاهُ لهمُ القَحْطُ من غُنَيْماتٍ ، وساقَها أمَامَهُ وقَدِمَ بها علَى رسولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم ، وأعْلَنَ هو ومَنْ معه إِسلامَهم بينَ يَدَيْه .

اهتَزَّتْ يثربُ من أقْصاهَا إِلى أقصاها فَرَحاً بالنُّعْمَانِ بنِ مُقَرِّنٍ وصَحْبِه، إِذْ لم يَسْبِقْ لِبَيْتٍ مِنْ بيوتِ العربِ أن أسْلَمَ منه أحدَ عَشَرَ أخاً من أبٍ واحدٍ ومَعَهُمْ أربعُ مائة فارِسٍ .وسُرَّ الرسولُ الكريمُ بإسلامِ النعمانِ أبلغَ السُّرورِ .وتَقَبَّلَ اللّه جَلَّ وَعَزَّ غُنَيْمَاتِهِ، وَأنْزَلَ فيهِ قرآناً فقال) :وَمِنَ الأعْرَابِ مَنْ يُؤمِنُ ْ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِر، وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللّهِ، وَصَلَوات الرَّسُولِ، ألاَ إِنَّها قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللّهُ في رَحْمَتِهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحيمُ)

انْضَوَى (النُّعْمَانُ به مُقَرِنٍ تحتَ رايةِ رسولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم، وشَهِدَ معهُ غَزَوَاتِهِ كُلَّها غيرَ وانٍ ولا مُقَصِّر).

الباب الثاني

من الصالحات

١) خبر إمرأة العزيز	سورة يوسف
٢) قصة مريم عليها السلام	سورة مريم
٣) قصة أم موسى عليه السلام	سورة القصص
٤) قصة الإفك	سورة النور
٥) قصة بلقيس ملكة سبا	سورة النمل
٦) إمرأة فرعون	سورة التحريم
٧) خبر المجادلة	سورة المجادلة

خبر إمرأة العزيز

وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين (٥٦) ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون ((٥٧) يقول تعالى) : وكذلك مكنا ليوسف في الأرض (أي : أرض مصر ،) يتبوأ منها حيث يشاء (قال السدي ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يتصرف فيها كيف يشاء . وقال ابن جرير : يتخذ منها منزلا حيث يشاء بعد الضيق والحبس والإسار) . نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين (أي : وما أضعنا صبر يوسف على أذى إخوته ، وصبره على الحبس بسبب امرأة العزيز ;فلهذا أعقبه الله عز وجل السلامة والنصر والتأييد) ولا نضيع أجر المحسنين ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون (يخبر تعالى أن ما ادخره الله لنبيه يوسف ، عليه السلام ، في الدار الآخرة أعظم وأكثر وأجل ، مما خوله من التصرف والنفوذ في الدنيا كما قال تعالى في حق سليمان ، عليه السلام) : هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب] (ص٣٩ : ، . ٤٠]

والغرض أن يوسف ، عليه السلام ، ولاه ملك مصر الريان بن الوليد الوزارة في بلاد مصر مكان الذي اشتراه من مصر زوج التي راودته ، وأسلم الملك على يدي يوسف ، عليه السلام .

قاله مجاهد . وقال محمد بن إسحاق لما قال يوسف للملك (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) قال الملك : قد فعلت. فولاه فيما ذكروا عمل إطفير وعزل إطفير عما كان عليه، يقول الله عز وجل (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين) فذكر لي – والله أعلم – أن إطفير هلك في تلك الليالي ، وأن الملك الريان بن الوليد زوج يوسف امرأة إطفير راعيل ، وأنها حين دخلت عليه قال : أليس هذا خيرا مما كنت تريدين ؟ قال : فيزعمون أنها قالت : أيها الصديق ، لا تلمني ، فإني كنت امرأة كما ترى حسناء جميلة ، ناعمة في ملك ودنيا ، وكان صاحبي لا يأتي النساء ، وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئتك على ما رأيت ، فيزعمون أنه وجدها عذراء ، فأصابها فولدت له رجلين أفرائيم بن يوسف ، وميشا بن] ص [٣٩٧ :يوسف وولد لأفرائيم نون ، والد يوشع بن نون ، ورحمة امرأة أيوب ، عليه السلام .

وقال الفضيل بن عياض : وقفت امرأة العزيز على ظهر الطريق، حتى مر يوسف ، فقالت : الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكا بطاعته ، والملوك عبيدا بمعصيته. هكذا نقل من كبار أهل السنة والجماعة لأنه (قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاْسٍ مَشْرَبَهُمْ) والله أعلم بالصواب.

قصة مريم عليها السلام

سمى القرآن الكريم سورة برأسها باسم مريم عليها السلام، وضمَّنها حيزاً واسعاً من قصة حملها وولادتها لعيسى عليه السلام، كما جاء الحديث عن مريم عليها السلام في سور :آل عمران، والأنبياء، والتحريم .

وقد جاء في الحديث الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قوله – صلى الله عليه وسلم) : – ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان، فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه(، ثم قال أبو هريرة :اقرؤوا إن شئتم{ :وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) {آل عمران(٣٦:، رواه مسلم .

يبدأ حديث القرآن الكريم عن مريم عليها السلام بالإخبار بأنها نأت بنفسها عن أهلها في مكان بعيد، وكأن الله أراد تهيئتها لأمر غير معتاد،} واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا) {مريم(١٦:، ثم تمضي القصة لتخبرنا أنه سبحانه أرسل إليها جبريل عليه السلام متمثلاً بصورة رجل كامل الرجولة{ :فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) {مريم(١٧:، وكان رد فعل الفتاة العذراء على هذا الموقف المفاجئ، أن استعاذت بالله ممن فجأها على غير ميعاد، فخاطبته بقولها{ :إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) {مريم(١٨:، وكان جواب الملك لها مطمئناً لقلبها، ومهدئاً

من روعها} إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا){مريم(١٩:، فأجابته مريم عليها السلام جواباً فطرياً ناظراً إلى الأسباب، فقالت : }أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا) {مريم(٢٠:، غير أن الملك أخبرها بأن خالق الأسباب والمسببات لا يعجزه شيء، وأن الأمر بيده قد يُجري الأمر من غير سبب، وأن الغرض من خرق الأسباب أن يبين للناس قدرته سبحانه على كل شيء، وأن يجعل للناس آية يعتبرون بها؛ ليعظموا هذا الخالق الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وليقدروه حق قدره، فقال مخاطباً إياها} :كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا) {مريم .(٢١:

ثم إن المشهد القرآني– وبعيداً عن الدخول في التفاصيل –يخبرنا أن إرادة الله سبحانه وقعت على مريم، وحملت في بطنها جنيناً سيرى النور عما قريب} :فحملته فانتبذت به مكانا قصيا) {مريم .(٢٢: وقد ذكر ابن كثير أن غير واحد من علماء السلف ذكروا أن المَلَك –وهو جبريل عليه السلام –نفخ في جيب درعها، فنزلت النفخة حتى ولجت في الفرج، فحملت بالولد بإذن الله تعالى .فلما حملت ضاقت ذرعاً به، ولم تدر ماذا تقول للناس، فإنها تعلم أن الناس لا يصدقونها فيما تخبرهم به، غير أنها أفشت سرها، وذكرت أمرها لأختها امرأة زكريا .وذلك أن زكريا عليه السلام، كان قد سأل الله

الولد، فأجيب إلى ذلك، فحملت امرأته، فدخلت عليها مريم، فقامت إليها فاعتنقتها .

ويمضي المشهد القرآني ليضعنا أمام مشهد مخاض الولادة الذي فاجأ مريم عليها السلام وهي وحيدة فريدة بعيدة، تعاني حيرة العذراء في أول مخاض، ولا علم لها بشيء، ولا معين لها في شيء، فهي تتمنى لو أنها كانت قد ماتت قبل أن يحصل لها الذي حصل، وتكون نسياً منسياً !فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) وفي حدِّة الألم، وصعوبة الموقف تقع المفاجأة الكبرى،} فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا، يا لقدرة الله !طفل وُلِدَ اللحظة يناديها من تحتها، يطمئن قلبها، ويصلها بربها .ثم ها هو ذا يرشدها إلى طعامها وشرابها ! فيقول لها} :وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا (فالله سبحانه لم ينسها، ولم يتركها، بل أجرى لها تحت قدميها جدول ماء عذب، ونخلة تستند إليها، وتأكل منها تمراً شهيًّا، فهذا طعام وذاك شراب .ليس هذا فحسب، بل ويدلها على حجتها وبرهانها !فيقول لها{فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا}

وفي مشهد آخر يخبرنا القرآن الكريم أن مريم الفتاة الطاهرة العفيفة المقيدة بمألوف البشر في الحياة، قد تلقت البشارة كما يمكن

أن تتلقاها فتاة، واتجهت إلى ربها تناجيه، وتتطلع إلى كشف هذا اللغز الذي يحير عقل الإنسان، فقالت{ رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر}وجاءها الجواب يردها إلى الحقيقة البسيطة، التي يغفل عنها البشر؛ لطول إلفتهم للأسباب والمسببات الظاهرة، ولعلمهم القليل، ومألوفهم المحدود{قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون} وحين يُرَدُّ الأمر إلى هذه الحقيقة الأولية يذهب العجب، وتزول الحيرة، ويطمئن القلب، وتهدأ النفس؛ وتعود مريم إلى نفسها تسألها في عجب :كيف عجبت من هذا الأمر الفطري الواضح القريب!!

وقد ذكر ابن كثير أنه لما ظهرت مخايل الحمل على مريم عليها السلام، وكان معها في المسجد رجل صالح من قراباتها، يخدم معها البيت المقدس، يقال له :يوسف النجار، فلما رأى ثقل بطنها وكبره، أنكر ذلك من أمرها، ثم صرفه ما يعلم من براءتها ونزاهتها ودينها وعبادتها، ثم تأمل ما هي فيه، فجعل أمرها يجوس في فكره، لا يستطيع صرفه عن نفسه، فحمل نفسه على أن عرض لها في القول، فقال :يا مريم، إني سائلك عن أمر، فلا تعجلي علي، قالت :وما هو؟ قال :هل يكون قط شجر من غير حَبٍّ؟ وهل يكون زرع من غير بذر؟ وهل يكون ولد من غير أب؟ فقالت :نعم –فهمت ما أشار إليه – أما قولك :هل يكون شجر من غير

حب وزرع من غير بذر؟ فإن الله قد خلق الشجر والزرع أول ما خلقهما من غير حب، ولا بذر .وأما قولك :وهل خَلْقٌ يكون من غير أب؟ فإن الله قد خلق آدم من غير أب ولا أم .فصدقها، وسلم لها حالها.

ثم ينتقل حديث القرآن عن مريم عليها السلام إلى مشهد جديد، بعد أن وضعت حملها، وهدأت نفسها، إنه مشهد القوم الذين تنتسب إليهم، وهي الآن بينهم، تحمل طفلها، الذي هو فلذة كبدها .لكن ماذا سيقولون لها، وعهدهم بها أنها لم تعرف زوجاً فيما مضى، وأنها حسنة السمعة بينهم، شريفة النسب،{فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا * يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا}، بيد أن مريم لم تنبس ببنت شفة، بل أشارت إلى وليدها، وكأن الله ألهمها أن هذا الوليد سوف ينطق بالحقيقة التي تُخرس الألسنة، وتلجمها عن الحديث فيما هو غير مألوف من حياتها،{فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا}، ثم يصور لنا المشهد القرآني الطفل وهو ينطق بحقيقة ما حدث، وواقع أمره وما جاء به{قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا * وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا * وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا * والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا} فهو أولاً

وقبل كل شيء عبد لله، ولم يقل :أنا الله، ولا ابن الله، بل قال : {إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا} إلى أن قال{وأن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم}، فقد أنطق الله الطفل؛ ليبين حقيقة العلاقة بين الخالق والمخلوق، والغاية من هذا الخلق الإنساني العجيب .

وقفات مع بعض أحداث القصة

أولاً :قوله تعالى{فحملته}اختلف المفسرون في مدة حمل عيسى عليه السلام، والمشهور عن الجمهور أن مريم عليها السلام حملت به تسعة أشهر، كما هي عادة النساء في حملهن .وقد قال ابن كثير في هذا الصدد" :ثم الظاهر أنها حملت به تسعة أشهر، كما تحمل النساء، ويضعن لميقات حملهن ووضعهن، إذ لو كان خلاف ذلك لذكر ."والواقع أن السياق لا يذكر كيف حملته، ولا كم حملته؛ هل كان حملاً عاديًّا كما تحمل النساء، وتكون النفخة قد بعثت الحياة والنشاط في البويضة، فإذا هي علقة فمضغة فعظام، ثم تكسى العظام باللحم، ويستكمل الجنين أيامه المعهودة؟ إن هذا جائز .كما أنه من الجائز في مثل هذه الحالة الخاصة أن لا تسير البويضة بعد النفخة سيرة عادية، فتختصر المراحل اختصاراً؛ ويعقبها تكون الجنين ونموه واكتماله في فترة وجيزة .ليس في النص ما يدل على إحدى الحالتين، فلا نجري طويلاً وراء تحقيق القضية التي لا

سند لنا فيها، والاختلاف في مثل هذه المسائل لا طائل من ورائه، ولا يرجى منه فائدة؛ لأنه لا يترتب عليه حكم شرعي .

وأيضاً، مما لا ينبغي الجري وراءه تحديد المكان الشرقي الذي انتبذت إليه مريم عليها السلام معتزلة قومها، ويكفي في الصدد العلم بما أخبر به القرآن الكريم، وهو أنها اتجهت إلى مكان شرقي، قد يكون بيت المقدس، وقد يكون غير ذلك .وقل مثل ذلك في قوله عز وجل (فانتبذت به مكانا قصيا)

ثانياً :قوله سبحانه(وأمه صديقة)

قال ابن كثير :دلَّ قوله تعالى{وأمه صديقة} على أن مريم عليها السلام ليست بنبية، كما زعمه ابن حزم وغيره ممن ذهب إلى نبوة سارة أم إسحاق، ونبوة أم موسى، ونبوة أم عيسى؛ استدلالاً منهم بخطاب الملائكة لسارة ومريم، وبقوله[وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه].

ثالثاً :قوله تعالى (فنفخنا فيها...) جاء في حديث القرآن الكريم عن قصة ولادة مريم قوله سبحانه :(والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا) وقوله تعالى (ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا)

نصت هاتان الآيتان على عفة مريم عليها السلام، وذكرتا أن حملها بعيسى عليه السلام إنما كان عن طريق) النفخ (في فرجها .وقد نقل

المفسرون هنا أقوالاً حول ماهية هذا) النفخ(، منها المقبول ومنها المرفوض، ومنها القريب ومنها البعيد، والأسلم في مثل هذا الأمر التسليم بظاهر اللفظ القرآني، وهو أنه كان هناك) نفخ(، أما الدخول في تفاصيل هذا) النفخ (فلسنا مكلفين به، ولا ينبغي الوقوف عنده طويلاً، يقول سيد قطب رحمه الله في هذا الصدد : "أهذه النفخة هي الكلمة؟ آلكلمة هي توجه الإرادة؟ آلكلمة : }كن {التي قد تكون حقيقة، وقد تكون كناية عن توجه الإرادة؟ و)الكلمة (هي عيسى، أو هي التي منها كينونته؟ كل هذه بحوث لا طائل وراءها إلا الشبهات .وخلاصتها هي أن الله شاء أن ينشىء حياة على غير مثال، فأنشأها وفق إرادته الطليقة، التي تنشئ الحياة بنفخة من روح الله .ندرك آثارها، ونجهل ماهيتها . ويجب أن نجهلها؛ لأنها لا تزيد مقدرتنا على الاضطلاع بوظيفة الخلافة في الأرض، ما دام إنشاء الحياة ليس داخلاً في تكليف الاستخلاف."!

أم موسى عليه السلام

هذه المرأة لم يُذكر اسمها في القرآن الكريم صراحة، وإنما أشار إليها بصفتها" أم موسى "مرتين، جاءت الآية الأولى بقوله تعالى)☹وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (القصص)

أما الآية الثانية التي أشارت إليها قال تعالى)وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) (القصص)

من هاتين الآيتين الكريمتين يتبين لنا أن هذه المرأة ذكرت بصفتها "أم موسى"، في سياق قرآني يتعلق بقصة وليدها موسى عليه السلام، وشدة خوفها وفزعها عليه من آل فرعون، فما قصة هذه المرأة مع ابنها الذي بشرها الله تعالى أنه سيكون من المرسلين؟ يُقال أنها" يخافذ"، أو" يوكابد"، ويُقال أيضا أن اسمها كان "أيارخا"، وقيل" أيازخت"، وقال البلنسي أن اسمها "ياذوخا"، وقيل أيضا" أيا ذخت ."هي من بني إسرائيل الذين نزحوا إلى مصر منذ عهد يوسف بن يعقوب عليهما السلام .

القرآن الكريم لا يذكر لنا عن والد موسى شيئا وتربيته له، وإنما يخص بالذكر أمه حيث قال تعالى)) :وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) (القصص (إلى قوله تعالى)فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ) (القصص.)

وهنا نعود قليلا إلى الوراء إلى قصة فرعون مصر وقتله للأطفال التي يرويها لنا القرآن الكريم في اكثر من موضع وقد ذكرت لنا كتب التاريخ القديمة سبب هذه القصة فيما يروي الإخباريون من أن فرعون رأى في منامه رؤية أفزعته !!تقول الرواية :انه استدعى الكهنة والمعبرين والمنجمين فسألهم تأويل رؤياه فقالوا :يولد في بني إسرائيل غلام يسلبك الملك ويغير دينك ويخرجك وقومك من أرضك، وقد أضلك زمانه .قالوا :فجن جنونه وثار غضبه و أمر بقتل كل غلام يولد لبني إسرائيل وجند لذلك الرجال والنساء والقوابل في كل مملكته .

وهنا ما يعنينا هو أمر موسى وأمه حيث أوكل الله سبحانه وتعالى إليها أمره وكيف ألقته في اليم وذلك بأمر من الله عز

وجل)وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ.)

حملت يوكابد بموسى و أثناء الحمل توفى أبوه ولما ولدته خافت عليه وذلك بعد أن ذبح فرعون في طلبه سبعين ألف ولد على ما يقولون فارتجفت أمه خوفا ورعبا و أشفقت عليها القابلة .قال الثعلبي :وبقيت يوكابد أم موسى في جزع وخوف ووعدتها القابلة أن تكتم الأمر،و أضاف بعض الرواة :أن الحرس ابصر بالقابلة وهي تخرج من بيت أم موسى فاقتحموا المنزل ودون أن تشعر يوكابد لفت الوليد في خرقة ورمته في التنور .فسألوا الحرس يوكابد عن سبب دخول القابلة قالت هي صديقة لي جاءت زائرة . ففتشوا المنزل ولم يعثروا على شيء ورأوا التنور والنار تلتهب فيه فلم يشكوا وخرجوا .

فأخرجته من التنور ولم يصب بأذى بمشيئة الله ثم إن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى يوكابد أن ترضعه ثم تعد له تابوتا وتضعه فيه ثم تلقيه في اليم .وطمأنها الله بأنه سيرده إليها سالما بل سيختاره فيما بعد رسولا مبلغا لرسالات الله فاستسلمت لأمر الله تعالى وفعلت ما أمرها به .قال الثعلبي :فألقته في اليم واحتمله الماء حتى مر على روضة في قصر فرعون فالتقطه الجواري فاحتملنه

وذهبن به إلى سيدتهن آسية امرأة فرعون ولا يدرين ما فيه فلما فتحت آسية التابوت وجدت فيه طفل من احسن الخلق و أجمله فأوقع الله محبته في قلبها حين نظرت إليه .

وكانت أم موسى يوكابد في بيتها تحتر همومها و أحزانها على فلذة كبدها).وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)

ثم قالت لأخته مريم قصيه وتتبعي أثره هل تسمعين له ذكرا . فخرجت مريم فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون قال قتاده ما رواه عن السدى :أن آسية لما أخرجت موسى من التابوت فرحت به فرحا كثيرا ورجته من فرعون أن لا يذبحه. فقالت له :قرة عين لي ولك لا تذبحوه، قال :قرة عين لك أنت أما أنا فلا حاجة لي به .قالوا :ثم قال لا بل يذبح فإني أخاف أن يكون هذا المولود هو سبب زوال ملكي .فتوسلت إليه آسية فتركه لها .

فعرضوا عليه المراضع فلم يقبل منهن ثديا .فخرجوا به إلى خارج القصر لعلهم يجدون امرأة تصلح لرضاعته .فلما رأته أخته مريم بأيديهم عرفته ولم تظهر ذلك لهم ولم يشعروا بها و أراد الله تعالى

أن يرجع موسى إلى أمه لترضعه وهي مطمئنة حيث وعدها الله سبحانه وتعالى (إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين)

قال الثعلبي :لما أخبرتهم أخته وقالت لهم هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون .أحاطوا بها يسألونها فقد رابهم ما سمعوا منها ما يدريك انهم له ناصحون لا شك انك تعرفينهم؟ أو انك تخفين أمرا .فقالت لهم : ليس الأمر كما تظنون كل ما اعرفه عنهم انهم أناس عرفوا بالرحمة وطيب القلب فلا شك وانهم سيرحبون بالطفل رغبة في سرور الملك ورجاء لفضله .قالوا ثم ذهبوا معها إلى المنزل حيث يوكابد تقاسي أشواقها وتحتر هموها على الصغير الغالي ثم دخلوا على أم موسى ولم تصدق نفسها من أغلى مفاجأة لها .فتماسكت أعصابها و أمسكت صرخة فرح كادت تخرج من لسانها.فأعطته ثديها فالتقمه ورضع حتى ارتوى فما كان اشد عجب القوم عندما التقم الثدي .وقيل انهم اصطحبوا يوكابد إلى قصر فرعون حيث رجتها آسية أن تقيم معها لترضع موسى ولكنها اعتذرت إليها أن لها بيتا وعيالا وليست بتاركتهم أبدا.

هنا يبدو الموقف جليا .فقد رأت يوكابد أن الله أنجزها ما وعدها به ثم رحمته بها وبولدها .و أدركت أنها الآن هي سيدة

الموقف لذلك تعاسرت على امرأة فرعون على أنها إذا تريد أن ترضع ولدها فلتصحبه معها إلى البيت :وقد أوردت هذه الرواية بنت الشاطئ في كتابها تراجم سيدات بيت النبوة في فصل أمهات الأنبياء .

قالت : إن أم موسى تعاسرت على امرأة فرعون في إرضاع موسى .فهي لا تستطيع أن تكبت عواطفها وأشواق أمومتها كي لا يستريب القوم من أمرها وهو شيء لا تطيقه أمومتها .أو أن تترك نفسها على سجيتها فتدفع بالوليد إلى المذبحة فهي بين أمرين أحلاهما مر .لذلك تذكرت ما وعدها الله به .وقبلت آسية ما اشترطت عليها يوكابد فرجعت به إلى بيتها لتروي عواطفها وتشبع غريزة أمومتها .ورده الله إليها كما وعدها .إن الله لا يخلف الميعاد.

قصة الإفك...بين المحنة والمنحة

(إن الذين جاءو بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم) النور (١١ : كلماتٌ ربّانية جاءت لتلخّص أحداثاً عاش المسلمون في ظلّها أياماً عصيبة ، وفتنةً كادت أن تورد الناس موارد الهلكة ، وإشاعاتٍ مغرضة استهدفت بيت النبوة ، وأرادت تشويه صورته النقيّة التي ظلّت محفوظةً في صدور المؤمنين ، ولم يكن المقصود منها الوقوف عند شخص النبي – صلى الله عليه وسلم – وآل بيته ، بل أُريد بها الطعن في نبوته ورسالته .

وتجري فصول هذه الحادثة في وقتٍ كان المسلمون فيه على موعدٍ مع العدوّ في إحدى الغزوات ، حيث خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في جيشه مصطحباً معه عائشة رضي الله عنها ، وفي طريق العودة توقّف الجيش للراحة والنوم ، وجلست عائشة رضي الله عنها في مركبها تترقّب لحظة المسير ، وتلمّست نحرها لتكتشف أنها أضاعت عقداً لأختها كانت قد أعارتْها إياه ، فما كان منها إلا أن نزلت من مركبها لتبحث عنه في ظلام الليل ، ولم تكن تدري أن المنادي قد آذن بالرحيل ، وأن الرجال قد جهّزوا رحلها ظانّين أنها بداخله ، وأن الجيش قد انطلق وتركها وحيدة في تلك الصحراء الموحشة.

وما أن وجدت العقد حتى عادت مسرعة لتلحق بركب الجيش ، ولكن الوقت فات ، حيث لم تجد سوى الآثار التي خلّفوها وراءهم ، فحارت ولم تدر ما تصنع ، ثم فكّرت في العودة إلى موضع مركبها لعلّ الجيش يفتقدها ويرسل من يأتي بها ، وهكذا فعلت ، وجلست هناك حتى غلبها النوم في مكانها.

وفي هذه الأثناء ، كان صفوان بن المعطل السلمي رضي الله عنه يسير خلف الجيش ليحمل ما سقط من المتاع ، فأدركه الصباح في الموطن الذي كان فيه الجيش ، وإذا به يرى سواد امرأة نائمة ، فعرف أنها عائشة رضي الله عنها ، والتي أحسّت به فغطّت وجهها ، تقول عائشة رضي الله عنها " : فوالله ما كلمني كلمة ، ولا سمعت منه شيئاً غير قوله : إنا لله وإنا إليه راجعون " ، فنزل عن راحلته وطلب منها أن تصعد ، ولما ركبت الناقة انطلق بها مولّيا ظهره لها ، حتى استطاع أن يدرك الجيش في الظهيرة ولم تمضِ سوى أيام قليلةٍ حتى انتشرت في المدينة إشاعاتٌ مغرضة وطعوناتٌ حاقدة في حقّ عائشة رضي الله عنها ، روّجها ونسج خيوطها زعيم المنافقين عبد الله بن أبيّ بن سلول ، ووجدت هذه الافتراءات طريقها إلى عدد من المسلمين ، الذين تلقّوها بحسن نيّة ونقلوها إلى غيرهم ، كان منهم حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه شاعر النبي – صلى الله عليه وسلم– ، و مسطح بن أثاثة رضي

الله عنه أحد أقرباء أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، و حمنة بنت جحش رضي الله عنها ابنة عمة النبي – صلى الله عليه وسلم – وأخت زوجته ، وعصم الله من بقي من الصحابة عن الخوض في ذلك ، وكان لسان حالهم ومقالهم كما قال القرآن) ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أَن نتكلم بهذا سبحانك هذاَ بهتان عظيم)

وبلغت تلك الأحاديث سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – فكان وقعها عليه شديداً ، ولنا أن نتصوّر المشاعر المختلفة التي كانت تدور في نفس النبي – صلى الله عليه وسلم – ، والمعاناة الطويلة التي عاشها في ظلّ هذه الأحداث ، وهو يرى الألسنة تنال من عرضه ، وتطعن في شرفه ، ولا يملك أن يضع لذلك حدّاً أو نهاية. وعلى الجانب الآخر ، لم تكن عائشة تدرك ما يدور حولها من أقاويل الناس ، فقد حلّ بها مرض ألزمها الفراش طيلة هذه المدّة ، إلا أنها أحسّت بتغيّرٍ في معاملة النبي — صلى الله عليه وسلم ، فبعد أن كانت تجد منه اللمسة الحانية ، والكلمة الرقيقة ، والمشاعر الفيّاضة ، إذا بها تفقد ذلك كلّه ، وتلحظ اقتصاره — صلى الله عليه وسلم — على الكلمات القليلة ، واكتفاءه بالسؤال عن حالها ، وهي تحاول أن تجد تفسيرا لهذا التحوّل المفاجيء .

وفي ليلة من الليالي خرجت عائشة رضي الله عنها مع أم مسطح إلى الصحراء لقضاء الحاجة — كعادة النساء في ذاك الزمان – ، فتعثّرت أم مسطح بثوبها وقالت " : تعس مسطح " ، فاستنكرت عائشة منها هذا القول وقالت" : بئس ما قلت ، أتسبين رجلاً شهد بدراً ؟ " ، وعندها أخبرتها أم مسطح بقول أهل الإفك . وكانت مفاجأةً لم تخطر لها على بال ، وفاجعةً عظيمة تتصدّع لها قلوب الرّجال ، فكيف ببنت السادسة عشرة ؟ ، وهي تسمع الألسن توجّه أصابع الاتهام نحو أغلى ما تملكه امرأة عفيفة ، فكيف بزوجة نبي الله وخليل الله ؟ . وكان من الطبيعي أن تؤثّر هذه الإشاعة على صحّة عائشة رضي الله عنها فتزداد مرضاً على مرض ، ولم يمنعها ذلك من الوقوف على ملابسات القضيّة ، فبمجرّد أن عادت إلى البيت استأذنت رسول الله — صلى الله عليه وسلم – في الذهاب لأبويها ، فلما رأتها أمها قالت " : ما جاء بك يا بنية " فقصّت عليها الخبر ، وأرادت الأم أن تواسيها فبيّنت لها أن هذا الكلام حسدٌ لها على جمالها ومكانها من النبي – صلى الله عليه وسلم. –

ولم يعد هناك مجال للشك ، فها هي والدتها تؤكّد ذلك ، وعَظُم عليها أن تتخيّل الناس وهم يتحدثون في شأنها ، تقول عائشة رضي الله عنها.." : فبكيت تلك الليلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل

بنوم حتى أصبحت.“ وطال انتظار النبي – صلى الله عليه وسلم –للوحي فاستشار علي بن أبي طالب و أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، أما أسامة فأخبره بالذي يعلمه من براءة أهله ، وأما علي فقد أحسّ بالمعاناة النفسيّة التي يعيشها النبي صلى الله عليه وسلم، فأراد أن يريح خاطره ، فأشار عليه بأحد أمرين : إما أن يفارقها ويتحقّق من براءتها لاحقاً ، وحينها يمكنه إرجاعها ، وإما أن يطّلع على حقيقة الأمر بسؤال بريرة مولاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بريرة وقال لها) : هل رأيت من شيء يريبك) فقالت “ : لا والذي بعثك بالحق ما علمت فيها عيباً “ ، ثمّ ذكرت صغر سنّها وأنّها قد تغفل عن العجين الذي تصنعه حتى تأتي الشاة تأكله ، وسأل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – زينب بنت جحش رضي الله عنها عن أمرها فقالت “ : يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري ، ما علمت إلا خيراً. “

وكانت هذه الشهادات كافيةً أن يصعد النبي – صلى الله عليه وسلم – المنبر ، ويطلب العذر من المسلمين ، في رأس الفتنة عبد الله بن أبي بن سلول ، وذلك بقوله) : يا معشر المسلمين ، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي ؟ ، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا ، ولقد ذكروا رجلاً — يعني صفوان بن المعطّل

—ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي (، فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال " : يا رسول الله ، أنا أعذرك منه ، إن كان من الأوس ضربتُ عنقه ، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك " ، فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وقد أخذته العصبيّة فقال لسعد " : كذبت ، لا تقتله ولا تقدر على قتله " ، واختلف الأوس والخزرج ، وكاد الشيطان أن يُوقع بينهم ، فلم يزل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يهدّئهم حتى سكتوا.

وبعد أن بلغت القضيّة هذا الحدّ ، لم يكن هناك مفرّ من الذهاب إلى عائشة رضي الله عنها لمصارحتها بالمشكلة واستيضاح موقفها ، فدخل عليها النبي – صلى الله عليه وسلم – ومعها امرأة من الأنصار ، فجلس النبي – صلى الله عليه وسلم – وتشهّد ثم قال) : أما بعد ، يا عائشة ، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه ؛ فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه (، فلما سمعت قوله جفّت دموعها ، والتفتت إلى أبيها فقالت " : أجب رسول الله فيما قال " ، فقال " : والله ما أدري ما أقول لرسول الله – صلى الله عليه وسلم " – ، ثم التفتت إلى أمّها فكان جوابها كجواب أبيها ، وعندها قالت " : لقد سمعتم

هذا الحديث حتى استقرّ في أنفسكم وصدقتم به ، فلئن قلت لكم أني منه بريئة – والله يعلم أني منه بريئة – لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر – والله يعلم أني منه بريئة – لتصدقنّني ، وإني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا قول أبي يوسف حين قال (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون).

ثم استلقت رضي الله عنها على فراشها ، وهي تستعرض الحادثة في ذهنها منذ البداية وحتى هذه اللحظة ، وبدا لها أن آخر فصول هذه القصّة ستكون رؤيا يراها النبي – صلى الله عليه وسلم – تُثبت براءتها ، ولكنّ الله سبحانه وتعالى أراد أن يخلّد ذكرها إلى يوم القيامة ، وإذا بالوحي يتنزل من السماء يحمل البراءة الدائمة ، والحجة الدامغة في تسع آيات بيّنات ، تشهد بطهرها وعفافها ، وتكشف حقيقة المنافقين ، فقال تعالى)إِن الذين جاءوا بالإفك عصبَة منكم لا تحسبوه شَرا لكم بل هو خير لكم لكل امرِئٍ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم.)

وانفرج الكرب ، وتحوّل حزن الرسول – صلى الله عليه وسلم – فرحاً ، فقال لها) : أبشري يا عائشة ، أمّا الله عز وجل فقد برّأك (، وقالت لها أمها " : قومي إليه " ، فقالت عائشة رضي الله عنها امتناناً بتبرئة الله لها ، وثقةً بمكانتها من رسول الله – صلى

الله عليه وسلم – ومحبته لها " : والله لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله عزوجل. " وأراد أبو بكر الصديق رضي الله عنه أن يعاقب مسطح بن أثاثة لخوضه في عرض ابنته ، فأقسم أن يقطع عليه النفقة ، وسرعان ما نزل الوحي ليدلّه على ما هو خير من ذلك : }ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) { النور (٢٢ : ، فقال أبو بكر " :بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي " ، فرجع إلى نفقته وقال " :والله لا أنزعها منه أبدا."

وبعد : فحديث الإفك الذي رميت به أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق ما هو إلا حلقة من حلقات التآمر على الدعوة ، ومحاولة تشويه رموزها ؛ وذلك لعلم العدو أن هذا الدين يقوم على المثال والنموذج والقدوة ، فإذا أفلح في إسقاط هذا النموذج وتشويه تلك القدوة ، فقد تحقّق له ما أراد ، فمتى نعي ذلك ؟.

قصة بلقيس..ملكة سبأ

نسبها:

تنسب الملكة بلقيس إلى الهدهاد بن شرحبيل من بني يعفر[١] ، و هناك اختلاف كبير بين المراجع التاريخية في تحديد اسم ونسب هذه الملكة الحِمْيَرية اليمانية، كما أنه لا يوجد تأريخ لسنة ولادتها ووفاتها.

حُكمها:

كانت بلقيس سليلة حسبٍ و نسب، فأبوها كان ملكاً، و قد ورثت الملك بولاية منه؛ لأنه على ما يبدو لم يرزق بأبناء بنين .لكن أشراف وعلية قومها استنكروا توليها العرش وقابلوا هذا الأمر بالازدراء و الاستياء، فكيف تتولى زمام الأمور في مملكة مترامية الأطراف مثل مملكتهم امرأة[٢]، أليس منهم رجلٌ رشيد؟ و كان لهذا التشتت بين قوم بلقيس أصداء خارج حدود مملكتها، فقد أثار الطمع في قلوب الطامحين الاستيلاء على مملكة سبأ، ومنهم الملك "عمرو بن أبرهة "الملقب بذي الأذعار .فحشر ذو الأذعار جنده و توجه ناحية مملكة سبأ للاستيلاء عليها و على ملكتها بلقيس، إلا أن بلقيس علمت بما في نفس ذي الأذعار فخشيت على نفسها، واستخفت في ثياب أعرابي ولاذت بالفرار .و عادت

بلقيس بعد أن عم الفساد أرجاء مملكتها فقررت التخلص من ذي الأذعار، فدخلت عليه ذات يوم في قصره و ظلت تسقيه الخمر وهو ظانٌ أنها تسامره وعندما بلغ الخمر منه مبلغه، استلت سكيناً و ذبحته بها .[٣]إلا أن رواياتٍ أخرى تشير إلى أن بلقيس أرسلت إلى ذي الأذعار وطلبت منه أن يتزوجها بغية الانتقام منه، وعندما دخلت عليه فعلت فعلتها التي في الرواية الأولى .[٤]وهذه الحادثة هي دليلٌ جليّ وواضح على رباطة جأشها وقوة نفسها، وفطنة عقلها وحسن تدبيرها للأمور، وخلصت بذلك أهل سبأ من شر ذي الأذعار وفساده.

وازدهر زمن حكم بلقيس مملكة سبأ أيمّا ازدهار، واستقرت البلاد أيمّا استقرار، وتمتع أهل اليمن بالرخاء و الحضارة والعمران والمدنية . كما حاربت بلقيس الأعداء ووطدت أركان ملكها بالعدل وساست قومها بالحكمة .ومما أذاع صيتها و حببها إلى الناس قيامها بترميم سد مأرب الذي كان قد نال منه الزمن وأهرم بنيانه وأضعف أوصاله .[٥]وبلقيس هي أول ملكة اتخذت من سبأ مقراً لحكمها.

قصة بلقيس في القرآن

ورد ذكر الملكة بلقيس في القرآن الكريم، فهي صاحبة الصرح الممَرد من قوارير وذات القصة المشهورة مع النبي سليمان بن داود – عليه السلام – في سورة النمل.

وقد كان قوم بلقيس يعبدون الأجرام السماوية والشمس على وجه الخصوص، و كانوا يتقربون إليها بالقرابين، و يسجدون لها من دون الله، و هذا ما لفت انتباه الهدهد الذي كان قد بعثه سليمان –عليه السلام –ليبحث عن موردٍ للماء .و بعد الوعيد الذي كان قد توعده سليمان إياه لتأخره عليه بأن يعذبه إن لم يأت بعذرٍ مقبول عاد الهدهد و عذره معه" أحطت بما لم تحط به و جئتك من سبأ بنبأ يقين[٦]"، فقد وجد الهدهد أن أهل سبأ على الرغم مما آتاهم الله من النعم إلا أنهم "يسجدون للشمس من دون الله .[٧]"فما كان من سليمان– عليه السلام –المعروف بكمال عقله وسعة حكمته إلا أن يتحرّى صدق كلام الهدهد، فقال " : سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين[٨]"، وأرسل إلى بلقيس ملكة سبأ بكتابٍ يتضمن دعوته لهم إلى طاعة الله ورسوله والإنابة والإذعان، وأن يأتوه مسلمين خاضعين لحكمه وسلطانه، ونصه "إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم *ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين.[٩] "كانت بلقيس حينها جالسة على سرير مملكتها

المزخرف بأنواع من الجواهر واللآلئ والذهب مما يسلب الألباب ويذهب بالمنطق والأسباب .[١٠]ولما عُرف عن بلقيس من رجاحة وركازة العقل فإنها جمعت وزراءها وعلية قومها، و شاورتهم في أمر هذا الكتاب .في ذلك الوقت كانت مملكة سبأ تشهد من القوة ما يجعل الممالك الأخرى تخشاها، و تحسب لها ألف حساب .فكان رأي وزرائها " نحن أولوا قوةٍ و أولوا بأس شديدٍ [١١]"في إشارةٍ منهم إلى اللجوء للحرب والقوة .إلا أن بلقيس صاحبة العلم والحكمة والبصيرة النافذة ارتأت رأياً مخالفاً لرأيهم، فهي تعلم بخبرتها وتجاربها في الحياة أن " الملوك إذا دخلوا قريةً أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون .[١٢]"وبصرت بما لم يبصروا ورأت أن ترسل إلى سليمان بهديةٍ مع علية قومها وقلائهم، عله يلين أو يغير رأيه، منتظرةٌ بما يرجع المرسلون .ولكن سليمان– عليه السلام –رد عليهم برد قوي منكر صنيعهم ومتوعد إياهم بالوعيد الشديد قائلاً" :أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتكم، بل أنتم بهديتكم تفرحون.[١٣]"عندها أيقنت بلقيس بقوة سليمان وعظمة سلطانه، وأنه لا ريب نبي من عند الله– عز وجل– ، فجمعت حرسها وجنودها واتجهت إلى الشام حيث سليمان– عليه السلام.-

وكان عرش بلقيس وهي في طريقها إلى سليمان– عليه السلام – مستقراً عنده، فقد أمر جنوده بأن يجلبوا له عرشها، فأتاه به رجلٌ عنده علم الكتاب قبل أن يرتد إليه طرفه .ومن ثم غّير لها معالم عرشها، ليعلم أهي بالذكاء و الفطنة بما يليق بمقامها و ملكها .[١٤]ومشت بلقيس على الصرح الممرد من قوارير والذي كان ممتداً على عرشها، إلا أنها حسبته لجةً فكشفت عن ساقيها وكانت مخطئة بذلك عندها عرفت أنها وقومها كانوا ظالمين لأنفسهم بعبادتهم لغير الله– تعالى –وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين. وتقول المراجع التاريخية أن سليمان– عليه السلام -تزوج من بلقيس، وأنه كان يزورها في سبأ بين الحين والآخر .وأقامت معه سبع سنين وأشهراً، و توفيت فدفنها في تدمر.[١٥]وتعلل المراجع سبب وفاة بلقيس أنها بسبب وفاة ابنها رَحْبَم بن سليمان.[١٦] وقد ظهر تابوت بلقيس في عصر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك و عليه كتابات تشير إلى أنها ماتت لإحدى وعشرين سنة خلت من حكم سليمان .وفتح التابوت فإذا هي غضّة لم يتغير جسمها، فرفع الأمر إلى الخليفة فأمر بترك التابوت مكانه وبنى عليه الصخر.[١٧]

ذكر بلقيس في القرآن الكريم:

إن بلقيس لم تكن امرأة عادية، أو ملكة حكمت في زمن من الأزمان و مر ذكرها مرور الكرام شأن كثير من الملوك و الأمراء .و دليل ذلك ورود ذكرها في القرآن .فقد خلد القرآن الكريم بلقيس، و تعرض لها دون أن يمسّها بسوء ، و يكفيها شرفاً أن ورد ذكرها في كتابٍ منزلٍ من لدن حكيم عليم، وهو كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، ولم و لن يعتريه أي تحريف أو تبديل على مر الزمان، لأن رب العزة– جل و علا –تكفل بحفظه وصونه "إنا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون .[١٨]"فذِكر بلقيس في آخر الكتب السماوية و أعظمها و أخلدها هو تقدير للمرأة في كل زمان و مكان، هذه المرأة التي استضعفتها الشعوب والأجناس البشرية وحرمتها من حقوقها، وأنصفها الإسلام و كرمها أعظم تكريم .و هذا في مجمله وتفصيله يصب في منبع واحد، ألا وهو أن الملكة بلقيس كان لها شأنٌ عظيم جعل قصتها مع النبي سليمان– عليه السلام –تذكر في القرآن الكريم.

▪رجاحة عقل بلقيس، و بليغ حكمتها، و حسن مشاورتها

إن الملكة بلقيس ما كان لها هذا الشأن العظيم لولا اتصافها برجاحة العقل و سعة الحكمة و غزارة الفهم .فحسن التفكير و حزم التدبير أسعفاها في كثيرٍ من المواقف الصعيبة والمحن الشديدة

التي تعرضت لها هي ومملكتها؛ و منها قصتها مع الملك ذي الأذعار الذي كان يضمر الشر لها و لمملكتها، ولكن دهاءها وحنكتها خلصاها من براثن ذي الأذعار و خلص قومها من فساده و طغيانه و جبروته.

كما أنها عرفت بحسن المشاورة إلى جانب البراعة في المناورة، فهي لم تكن كبقية الملوك متسلطة في أحكامها، متزمتة لآرائها، لا تقبل النقاش أو المجادلة، بل كانت كما أجرى الله على لسانها " قالت أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون [١٩]{، و ذلك على الرغم من أنه كان بمقدورها أن تكتفي برأيها و هي الملكة العظيمة صاحبة الملك المهيب . فهي ببصيرتها النيّرة كانت ترى أبعد من مصلحة الفرد، فهّمها كان فيما يحقق مصلحة الجماعة.

▪ذكاء بلقيس وفطنتها:

كانت بلقيس فطينة رزينة، و كانت فطنتها نابعة من أساس كونها امرأة، فالمرأة خلقها الله– عز وجل –وجعلها تتمتع بحاسة تمكنها من التبصر في نتائج الأمور وعواقبها .والشاهد على ذلك أنه كان لبلقيس– كعادة الملوك –عدد كبير من الجواري اللاتي يقمن على خدمتها، فإذا بلغن استدعتهن فرادى، فتحدث كل واحدة عن الرجال فإن رأت أن لونها قد تغير فطنت إلى أن جاريتها راغبة في

الزواج، فتُزوجها بلقيس رجلاً من أشراف قومها وتكرم مثواها .أما إذا لم تضطرب جاريتها ولم تتغير تعابير وجهها، فطنت بلقيس إلى أنها عازفة عن الرجال، وراغبة في البقاء عندها ولم تكن بلقيس لتقصر معها .ومن أمارات فطنتها أيضا أنه لما ألقي عليها كتاب سليمان علمت من ألفاظه أنه ليس ملكاً كسائر الملوك، وأنه لا بد وأن يكون رسول كريم وله شأنٌ عظيم؛ لذلك خالفت وزراءها الرأي عندما أشاروا عليها باللجوء إلى القوة، وارتأت بأن ترسل إلى سليمان بهدية، و كان المراد من وراء هذه الهدية ليس فقط لتغري وتلهي سليمان – عليه السلام – بها، وإنما لتعرف أتغير الهدية رأيه و تخدعه؟ و لتتفقد أحواله و تعرف عن سلطانه و ملكه و جنوده .ومن علامة ذكائها أيضا أن سليمان – عليه السلام – عندما قال لها متسائلاً "أهكذا عرشك؟ قالت :كأنه هو[٢٠]"، ولم تؤكد أنه هو لعلمها أنها خلفت عرشها وراءها في سبأ ولم تعلم أن لأحد هذه القدرة العجيبة على جلبه من مملكتها إلى الشام .كما أنها لم تنفِ أن يكون هو؛ لأنه يشبه عرشها لولا التغيير والتنكير الذي كان فيه..[٢١] .

إسلام الملكة بلقيس مع سليمان:

كثيرةٌ هي القصص المذكورة في القرآن عن أقوامٍ لم يؤمنوا برسل الله و ظلوا على كفرهم على الرغم مما جاءهم من العلم . إلا أن بلقيس وقومها آمنوا برسول الله سليمان– عليه السلام –ولم يتمادوا في الكفر بعدما علموا أن رسالته هي الحق وأن ما كانوا يعبدون من دون الله كان باطلاً .واعترفت بلقيس بأنها كانت ظالمة لنفسها بعبادتها لغير الله ‘‘قالت ربي إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين

▪

قصة آسية امرأة فرعون

نسبها:هي آسية بنت مزاحم بن عبيد الديان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف –عليه السلام –وقيل إنها كانت من بني إسرائيل من سبط موسى –عليه السلام –وقيل بل كانت عمته

حياتها:

كانت تعيش في أعظم القصور وأفخمها إذ كان قصرها مليئاً بالجواري والعبيد والخدم أي أنها كانت تعيش حياة مترفة منعمة، فقد كانت آسية زوجة للفرعون الذي طغى واستكبر في زمانه وادعى الألوهية وأمر عبيده بأن يعبدوه ويقدسوه هو لا أحد سواه، وأن ينادوه بفرعون الإله– معاذ الله. -

وما أن يذكر اسم آسية امرأة فرعون حتى يتراود لنا قصة سيدنا موسى –عليه السلام –وموقفها عندما رأته في التابوت، فقد كان لوجهه المنير الذي تشع منه البراءة أثر كبير في نفسها، فهي من أقنع الفرعون بالاحتفاظ به، وتربيته كابن لهما ، في البداية لم يقتنع بكلامها ولكن إصرار آسيه جعله يوافقها الرأي وعاش نبينا موسى –عليه السلام –معهما وأحبته حب الأم لولدها

وعندما دعا موسى –عليه السلام –إلى توحيد الله تعالى آمنت به وصدقته، ولكنها في البداية أخفت ذلك خشية فرعون و ما لبثت

حتى أشهرت إسلامها واتباعها لدين موسى –عليه السلام–، وجن جنون الفرعون لسماعه هذا الأمر المروع بالنسبة له، وحاول عبثاً ردها عن إسلامها وأن تعود كما كانت في السابق ، فتارة يحاول إقناعها بعدم مصداقية ما يدعو له موسى –عليه السلام –وتارة يرهبها بما قد يحل بها من جراء اتباعها لموسى –عليه السلام – ولكنها كانت ثابتة على الحق ولم يزحزحها فرعون في دينها وإيمانها مقدار ذرة .

سأل فرعون الناس عن رأيهم في مولاتهم آسية بنت مزاحم فأثنوا عليها كثيراً وقالوا أن لا مثيل لها في هذا العالم الواسع، وما أن أخبرهم بأنها اتبعت دين موسى –عليه السلام –حتى طلبوا منه بأن يقتلها فما كان عقابها من الفرعون إلا أن ربط يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس، حيث الحر وأشعة الشمس الحارقة ووضعوا صخرة كبيرة على ظهرها . فمن كان يصدق بأن الملكة التي كانت تعيش في أجمل القصور بين الخدم والحشم هي الآن مربوطة بالأوتاد تحت أشعة الشمس الكاوية ، ومع ذلك فقد صبرت وتحملت الشقاء طمعاً بلقاء الله– عز وجل –والحصول على الجنة، وذلك لاعتقادها القوي بأن الله لا يضيع أ جر الصابرين . وقبل أن تزهق روحها الطاهرة وإحساسها بدنو أجلها دعت المولى عز وجل بأن يتقبلها في فسيح جناته وأن يبني لها بيتاً في الجنة.

قال تعالى ":وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ "

فمن ملاحظتنا لآية السابقة فقد قدمت عندك (على) في الجنة (ولهذا سر عظيم ألا وهو)أنها طلبت القرب من رحمة الله والبعد من عذاب أعدائه ثم بينت مكان القرب بقولهم" :في الجنة "أو أرادت ارتفاع الدرجة في الجنة وأن تكون جنتها من الجنان التي هي أقرب إلى العرش وهي جنات المأوى فعبرت عن القرب إلى العرش بقولها : "عندك ."

فما أعظمها من امرأة وكم يفتقر مجتمعنا لمثل هذه الشخصيات العظيمة الآن وما أحوجنا إليها.

أجرها وثوابها وفضلها: كان لآسية ما تمنت فقد بني لها عنده بيتاً في الجنة،)واستحقت أن يضعها الرسول –صلى الله عليه وسلم – مع النساء اللاتي كملن، وذلك عندما قال" :كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام .(")وروي عن ابن عباس قول رسول الله– صلى الله عليه وسلم – خطوط أربع في الأرض وقال أتدرون ما هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم فقال –صلى الله عليه وسلم –أفضل نساء الجنة أربع –خديجة بنت

خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون (كما روي أنها ومريم بنت عمران ستكونان من أزواج الرسول –صلى الله عليه وسلم –في الجنة .فنسأل الله عز وجل بأن يتقبلنا جميعا في فسيح جناته وأن يمنحنا فرصة الشهادة مثل هذه الشخصية العظيمة وغيرها الكثير ممن قرأنا عنهم أو حتى سمعنا عنهم ▪

قال تعالى ":وضرب الله مثلا للذين ءامنوا امرأت فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين "التحريم

آسيا بنت مزاحم بن عبيد الديان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف –عليه الصلاة السلام –وقيل إنها كانت من بني إسرائيل من سبط موسى –عليه الصلاة السلام –وقيل بل كانت عمته

كانت تعيش في أعظم القصور وأفخمها إذ كان قصرها مليئاً بالجواري والعبيد والخدم أي أنها كانت تعيش حياة مترفة منعمة، فقد كانت آسيا زوجة للفرعون الذي طغى واستكبر في زمانه وادعى الألوهية وأمر عبيده بأن يعبدوه ويقدسوه هو لا أحد سواه، وأن ينادوه بفرعون الإله– معاذ الله وما أن يذكر اسم آسيا امرأة فرعون حتى يتراود لنا قصة سيدنا موسى –عليه السلام –وموقفها

عندما رأته في التابوت، فقد كان لوجهه المنير الذي تشع منه البراءة أثر كبير في نفسها، فهي من أقنع الفرعون بالاحتفاظ به، وتربيته كابن لهما ، في البداية لم يقتنع بكلامها ولكن إصرار آسيه جعله يوافقها الرأي وعاش نبينا موسى- عليه السلام -معهما وأحبته حب الأم لولدها

عندما دعا موسى -عليه السلام -إلى توحيد الله تعالى آمنت به وصدقته، ولكنها في البداية أخفت ذلك خشية فرعون و ما لبثت حتى أشهرت إسلامها واتباعها لدين موسى -عليه السلام-، وجن جنون الفرعون لسماعه هذا الأمر المروع بالنسبة له، وحاول عبثاً ردها عن إسلامها وأن تعود كما كانت في السابق ، فتارة يحاول إقناعها بعدم مصداقية ما يدعو له موسى -عليه السلام -وتارة يرهبها بما قد يحل بها من جراء اتباعها لموسى -عليه السلام - ولكنها كانت ثابتة على الحق ولم يزحزحها فرعون في دينها وإيمانها مقدار ذرة.

سورة المجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) الآية .

أخبرنا أبو سعد محمد بن عبد الرحمن الغازي ، قال : أخبرنا أبو عمرو محمد بن أحمد الحيري قال : أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى قال : أخبرنا أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا أحمد بن أبي عبيدة قال : حدثنا أبي ، عن الأعمش ، عن تميم بن سلمة ، عن عروة قال : قالت عائشة : تبارك الذي وسع سمعه كل شيء ، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ، ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهي تقول : يا رسول الله ، أبلى شبابي ، ونثرت له بطني ، حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني ، اللهم إني أشكو إليك . ، قالت : فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات) : قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله . (رواه] الحاكم [أبو عبد الله في صحيحه عن أبي محمد المزني ، عن مطير ، عن أبي كريب ، عن محمد بن أبي عبيدة .

أخبرنا أبو بكر بن الحارث قال : أخبرنا أبو الشيخ الحافظ الأصفهاني قال : حدثنا عبدان بن أحمد قال : حدثنا أحمد بن

محمد بن يحيى بن سعيد قال : حدثنا يحيى بن عيسى الرملي قال : حدثنا الأعمش ، عن تميم بن سلمة ، عن عروة : عن عائشة قالت : الحمد لله الذي توسع لسمع الأصوات كلها ، لقد جاءت المجادلة فكلمت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأنا في جانب البيت لا أدري ما تقول ، فأنزل الله تعالى (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها.)

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، ثم الضلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد:

فالأسباب التي ألفت من أجلها هذا الكتاب هي التأسي بالصالحين والصالحات، ومحبتهم، لأن محبتهم الفوز والفلاح في الدارين، قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) ([1]) أي هذه البشارة لمحيتهم في الله تعالى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " وحببت محبتي في المتحابين فِيَ" .

وقد انتشر في السنوات الأخيرة تكفير واستباحة دماء المسلمين لمحبتهم الصالحين، ونشرت صحف للحذير عن الشرك، والتبرك بقبر النبي صلى الله عليه وسلم، والصالحين، وشهداء أحد، ومقام إبراهيم، حيث قال تعالى (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيْمَ مُصَلًّى) ([2]) .

ويستحيل على الله سبحانه وتعالى أن يأمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالشرك، بل أمرهم باقتداء الصالحين، ومحبتهم .

([1]) سورة مريم، الأية: ٩٦ .

([2]) سورة البقرة، الأية: ١٢٥ .

والمسائلُ التي اشتد فيها اختلاف العلماء التوسلُ بالأنبياء والصالحين، منهم من أجاز، ومنهم من منع، وممن أجاز من العلماء المعاضرين الشيخ أبوبكر الجزائر .

ومن باب التحدث بنعمة الله تعالى أقول: إنه صادف يوم تبييض هذه الرسالة ووصولي فيها إلى هذا الموضوع من مواضيعها: أن كنت بالدار البيضاء من المغرب وفي آخر رمضان ورغبت في عمرة فيه، وحاولت أن أحجز مقعدا بالطائرة، فقيل لي إنه غير ممكن، وإذا تأخرت عن هذه الرحلة ينتهي رمضان ولم أعتمر فيه كما كنت أعتزم وأمل، فتوضأت وصليت ركعنين وقلت: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بإيماني بنبيك نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم، وحبي له، أن تيسر لي أمر سفري على الطائرة الفلانية اليوم لأعتمر عمرة مبرورة في رمضان هذا .

وعدت إلى مكتب الشركة فو الله ما رمت مكاني حتى قضيت حاجتي، وتم حجزي، والحمد لله رب العالمين، ونفعني الله بهذه الوسيلة المشروعة .

والله أسأل أن يوفقنا العمل بهذه القصص والعبرة بها، فقد فاز من اتعظ واعتبر، وقال تعالى (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِيْنَ) ([1])

جعلنا الله من المؤمين الفائزين في الدنيا والآخرة، وأن يحشرنا بزمرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

وهذا آخر ما أردنا كتابته في هذا الموضوع القيم، وكان فراعه في يوم الأحد جماد الثاني١٤٣٤ هـ ، والمرجو ممن اطلع فيه الإصلاح بما سها القلم أو خطأه الفهم بها.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا كبيرا إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) سورة الذاريات، الأية: ٥٥ .

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

المقدمة .....،١٠
قصة عزير عليه السلام ٤
قصة وعلى الثلاثة الذين حلفوا ٨
قصة أصحاب الكهف ١٩
خبر ذي القرنين.....٣٠
خبر آصف بن برخيا.....٣٩
قصة لقمان.....٤٥
قصة قوم يوسن وهم أصحاب القرية.....٦٠
قصة مؤمن آل فرعون.....٦٥
قصة أصحاب الأخدود.....٧١
بيان طلب ذي القرنين عين الحياة ٧٨
خبر عبس.....٨٣
صهيب الرومي.....٨٥
النعمان بن مقرن المزني.....٩١
خبر إمرأة العزيز.....٩٤
قصة مريم عليها السلام.....٩٦
قصة أم موسى عليه السلام.....١٠٤
قصة الإفك.....١١٠
قصة بلقيس ملكة سبا.....١١٨
قصة آسية إمرأة فرعون.....١٢٧

الموضوع **الصفحة**

خبر المجادلة ١٣٢
الخاتمة ١٣٤
الفهرس ١٣٧

الصّالحين

والصّالحات في القرآن

تأليف

الفقير :خليل بن الشيخ شريف

بن الشيخ محيي الدين العلي

الشافعي الأشعري الصوفي القادري الصومالي

الطبعة الأولى :جماد الثاني١٤٣٤ هـ

مقديشو الصومال